وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. مولاي الطاهر سعيدة

كلية الآداب و اللغات و الفنون

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس

تخصص لسانيات عامة

بعنوان :

تأصيل الدرس الصوتي في التراث العربي سر صناعة الإعراب لابن جني أنموذجا

إعداد الطـــــالبتين:

بومعزة بشرى

بوعزدية شيماء

تـــحت اشراف الأستاذة:

د. كريمة بن ضياف

لجنة المناقشة

الأستاذ:.....رئيسا

الأستاذ:..... مشرفا و مؤطرا

الأستاذ:..... مناقشا

السـنة الجـامعية :

2018-2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

رب أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمتها علينا لاتمام هذا البحث.

وعلى ما منتنا به علينا من توفيق وسداد، وعلى ما منحتنا إياه من صحة وقدرة من أجل تغطينا الصعاب وتدليل العقبات واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

والذي حثنا على الشكر فقال " الشكر فند نعمة وسبب دوامها ومفتاح المزيد منها" وحتى يتم شكرنا الله عز وجل.

نشكركم من ساهم من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة " بن ضياف كريمة" على تقبلها الإشراف على هذا العمل بصدر رحب سائلين المولى عز وجل أن يديم فضلها وعطائها.

إهداء

الحمد لله الذي نفتتح بحمده الكلام والحمد لله الذي حمده أفضل ما جرت به الأقلام، سبحانه لا نحصي له ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه وهو ولي كل إنعام وأما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها، وريحانة حياتي وبهجتها التي غمرتني بعطفها وحنانها، وأنارت لي درب حياتي، وكانت لي عونا والقلب العطوف

أمي العزيزة الغالية حفظها الله لي وأطال في عمرها.

إلى الذي ألبسني ثوب المعرفة، ورمى بي إلى شاطئ العلم والأمان

إلى الذي طالما سره نجاحي.

أغلى أب رحمه الله تعالى.

إلى إخوتي وأخواتي.

إلى كل الأهل والأقارب

إلى من قاسمتني سطور هذا العمل "بشرى"

إلى كل صديقاتي "إكرام" "إيمان" " روبة".

شيماء

مقدمة

الحمد لله خالق الإنسان، معلمه البيان وجاعل اللغة العربية أشرف اللسان، والصلاة والسلام على رسوله محمد ابن عبد الله، أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه أما بعد:

لقد نالت الدراسات الصوتية منذ القدم اهتماما كبيرا كونها تلعب دورا مهما ورئيسيا في اكتمال النظام التواصلي بين أفراد المجتمع البشري حيث أن الطبيعة الإنسانية تقتضي بالضرورة استعمال الصوت لتحقيق ونجاح عملية التواصل، فقيمته تكمن في أنه المادة الأساسية للحدث اللغوي، وهذا ما أدركته الدراسات اللغوية الحديثة، فخصصت له مباحث وفروع توليه العناية بالدراسة والبحث في ثناياه.

ولقد ألمت الدراسات اللغوية القديمة مباحث صوتية في ثنايا المؤلفات القديمة، مما يجعل للدرس الصوتي جذور تأصيلية في التراث اللغوي، فكان الهنود واليونان والعرب من السباقين في إرساء معالم هذا الدرس.

أما الدراسة الصوتية العربية فقد انطلقت من خلال اعتناء العرب بلغتهم وحفظها القرآن الكريم من اللحن، فقد كان لعلماء العرب الأوائل دور بارز في صون اللسان العربي وإتقان نطقه، فاهتموا بكل جوانب اللغة ومستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

وقد كانت لنا في هذه الدراسة وقفة عند المستوى الصوتي، هذا المستوى الذي تقوم عليه دراسة كل لغة ومن بينها اللغة العربية، فشهدت دراسة اللغة العربية من هذا الجانب تطورا مدهشا أدى إلى ظهور علم كامل المعالم والصفات، يدرس الصوت اللغوي كل جوانبه ، وهو علم الأصوات.

ويعد ابن جني أول من خصص للدراسة الصوتية مؤلفا مستقلا بعد أن كانت القضايا الصوتية تدرس مختلطة بغيرها من القضايا اللغوية كما يعد أيضا أول من أطلق عل هذه الدراسة اسم علم الأصوات.

فدرس الأصوات وحدد مخارجها وصفاتها إضافة بالجانب الوظيفي للأصوات في تركيب الكلمة.

وعلى هذا الأساس تبلور بحثنا في دراسة متواضعة، تتناول بعض جوانب التأصيل للدرس الصوتي في التراث العربي من خلال دراسة كتاب صناعة الإعراب لابن جني.

أما بالنسبة للدوافع والأسباب التي دفعتنا إلى اختيار تأصيل الدرس الصوتي في التراث العربي: سر صناعة الإعراب لابن جني أنموذجا كموضوع لبحثنا هي:

- بيان أهمية التفكير الصوتي ونضجه عند علماء العرب القدماء وعند ابن جني خصوصا.
- بيان أهمية كتاب سر صناعة الإعراب في الدراسة الصوتية.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتوزع البحث كالآتي:

مقدمة، مدخل خصصناه للحديث عن اللغة ونشأة الدراسات الصوتية عند الهنود واليونان وصولا إلى العرب وإسهاماتهم في تطور الدرس الصوتي.

أما الفصل الأول، فقد خصصناه للحديث عن علم الأصوات الفونيتيكي عند علماء العرب القدامى وتضمن خمسة مباحث.

أما الفصل الثاني فخصصناه للحديث عن علم الأصوات الفونولوجي عند علماء العرب القدامى وتضمن أربعة مباحث.

أما الفصل الثالث، فخصصناه للحديث عن كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني وأهميته في تأصيل الدرس الصوتي العربي.

أما الخاتمة، فقد تضمنت مجموعة من النتائج المتوصل إليها أما فيما يخص المنهج المتبع في البحث فهو منهج وصفي تحليلي الذي ساعدنا على وصف الظواهر والقضايا الصوتية.

واعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب أسباب حدوث الحروف لابن سينا الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني لحسام سعيد النعيمي إضافة إلى سر صناعة الإعراب لابن جني.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا هي معرفتنا المحدودة في مجال علم الصوتيات.

مدخل

تعد اللغة محافظة على التراث ووسيلة اتصال بين الناس وتوثيق الروابط الاجتماعية، كما تعد أداة من أدوات التركيب والتحليل فهي أداة لإبراز الفكر تتميز بوظائف تفاعلية واستكشافية، ونظرا لأهميتها سعى العديد من العلماء والفلاسفة العرب لدراستها وتحديد وظائفها.

ويعد تعريف ابن جني "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1] من بين أهم التعريفات التراثية في الدراسات العربية، حيث أنه يربط فيه بين الصوت واللغة مبرزا وظيفتها التواصلية في المجتمع.

وتعتبر الدراسة الصوتية العربية من أسبق الدراسات الصوتية ولم يشارك العرب في هذا السبق سوى الهنود إذ أنهم أقاموا سرح دراستهم الصوتية خدمته لكتابهم المقدس"الفيدا"، فأنتجوا في وقت مبكر جدا دراسة لأصوات اللغة السنسكريتية، على درجة عالية من الإتقان، شهد لهم بها مؤرخو اللغة كما شهدوا بذلك للدراسة الصوتية العربية، وما ذكره عدد من المستشرقين منهم المستشرق الألماني "براجستراسر" يقول "ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند (البراهمة) والعرب"[2] ومعنى هذا القول أن الدراسات العربية والهندية هي أول من أرسى معالم الدرس الصوتي.

وقد درس اليونان والرومان الأصوات أيضا إذ أن دراستهم تقوم في جملتها على ملاحظة الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن وهي بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب.

وإذا نظرنا إلى جهود علماء العربية القدامى في مجال الدراسة الصوتية نجد أنها كانت عندهم أصل العلوم، لأنها تتصل اتصالا مباشرا بتلاوة القرآن الكريم، وفهم كلماته، وتراكيبه وأساليبه إذ أن الحفاظ عليه يستوجب الحفاظ على اللسان الذي أنزل به، الأمر الذي شد انتباه الدارسين، وجعلهم

---

[1] ابن جني، الخصائص تحقيق محمد علي النجار، دار الهدي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، ج1، ص33.

[2] عبد الغفار حامد هلال الصوتيات اللغوية، دار الكتاب الحديث، دط، ص21.

يفكرون فيما من شأنه أن يصون اللسان العربي من اللحن، لكن مع دخول الأقوام المختلفة الأجناس إلى الإسلام التي كان من آثارها تفشي اللحن وتسربه للألسنة، وخاصة إلى التنزيل الحكيم.

فلقد خطا أبو الأسود الدؤلي(ت69هـ) أول خطوة عملية في بناء صرح البحث الصوتي ومعالم النحو العربي، فقد وضع علامات في نهايات الكلمات تحدد كيفية نطقها، وكان ذلك في كلمات القرآن الكريم ومنه قوله: " إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإذا رأيتني ضممت فمي فاجعل النقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين"[1]، ومعنى هذا القول أن أباالأسود الدؤلي قد أدرك بفضل ملاحظته الدقيقة دور الشفتين في نطق الحركات الإعرابية، التي تستند في أساسها على الجانب الفيزيولوجي من الظاهرة الصوتية، وبذلك فإن الحركات الإعرابية تمثل العلاقة بين المستوى الصوتي والنحوي في الدرس اللغوي، وهذا ما يثبت عدم استقلالية الدرس الصوتي عن باقي المستويات اللغوية.

وقد أخذ البحث الصوتي عند العرب منحى جديدا، خاصة مع مطلع القرن الرابع هجري، مع مجموعة من العلماء أولوه عناية خاصة، حيث بذلوا فيه جهودا كبيره، إذ جاءت دراساتهم على نحو من الدقة والجودة والشمول.

فبالرغم من ظهور الدراسة الصوتية في فترة مبكرة في تاريخ البحث الصوتي العربي، ورغم كثرة علماءها ووفرة مادتها، إلا أنها جاءت متناثرة في ثنايا المؤلفات ولم تعرف جمع شتاتها إلا في فترات متأخرة، فأفرد لها العلماء على اختلاف توجهاتهم مؤلفات مستقلة. "فالخليل بن أحمد الفراهيدي قد وضع كتابا في النغم والأصوات العربية كانوا على دراية بمختلف الظواهر التي تعالج المستوى الصوتي

[1] أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تعليق محمد زنهم، محمد عزبي، دار الأفاق العربية، القاهرة، دط، 2003، ص18.

على نحو يقارب الدرس الصوتي الحديث، ويتبين ذلك من خلال الجوانب المادية والوظيفية للأصوات التي درسوها.

الفصل الأول

علم الأصوات الفونيتيكي لدى القدامى

المبحث الأول:علم الأصوات الفونيتيكي عند علماء المعاجم

لقد كان للعلماء العرب القدامى الريادة في علم الأصوات وذلك من خلال الجهود التي بذلوها لإرساء معالم هذا العلم ، فوجد الدرس الصوتي مبثوثا في ثنايا المؤلفات العربية القديمة.

فأول ظهور منهجي للدرس الصوتي كان من قبل الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) صاحب معجم العين الذي يعد أول معاجم اللغة العربية، فأبدع في طريقة التجميع والترتيب وفق منهج صوتي صرف، ومنهج رياضي دقيق يعتمد نظرية المجموعات في صيغتها المعاصرة،" فلم يغب عن ذهن الخليل أن لكل صوت مجرد معزول عن غيره من الأصوات خصائص التي تميزه فعلى الرغم من أنه تعامل مع الأصوات العربية كمجموعات لكل مجموعة منها حيز ولكل صوت منها مدرج ومخرج وهذه المجموعات هي:" ع ح هـ خ غ-ق ك- ج ش ض- ص س ز- ط د ت- ظ ث ذ- ف ب م- و-أ ي- همزة"[1] ومعنى ذلك أنه أعطى لكل حرف منها إسما خاصا فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها الحلق، والقاف والكاف لهوية لأن مبدأها من اللهاة، واعتمد في وصفه للأصوات على ما يحسه بنفسه من اختلاف في أوضاع أعضاء النطق معها، وعلى العملية العضوية التي يقوم بها المرئ عند صدور كل صوت وعلى وقع هذا الصوت في أذن السامع، وعليه فإن الخليل ابن أحمد الفراهيدي كان على دراية بأعضاء جهاز النطق الإنساني.

- **حروف الحلق:** وهي خمسة (العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين).
- **حروف اللهاة:** وهما صوتان (القاف، الكاف).
- **حروف الشجرية:** وهي ثلاثة (الجيم، الشين، الطاء).
- **حروف أسلية:** وهي ثلاثة (الصاد، السين، زاي).

[1] ينظر: حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، ص66.

- **الأصوات النطقية:** وهي ثلاثة (الظاء، الدال، التاء).

- **الأصوات اللثوية:** وهي ثلاثة (الضاد، الذال، الثاء).

- **الأصوات الذلقية:** وهي ثلاثة (الراء، اللام، النون).

- **الأصوات الشفوية:** وهي ثلاثة (الفاء، الباء، الميم).

- **الأصوات الهوائية:** وهي أربعة (الواو، الألف، الياء، الهمزة).[1]

فاهتمام الخليل ابن أحمد الفراهيدي بمخارج الأصوات لا يعني أبدا إهماله لصفاتها لكنه أثر الأولى بالتدقيق والتمحيص، لما رأى أن توضيحها يخدم المعجم، وغايته تمييز كلام العرب لكون بعض الأصوات لا تتجاور لأن مادتها تتقارب في المخارج.

وعلى هذا الأساس حدد صفات الحروف من خلال دراسته لمخارجها فنجد أن صفة الميم المطبقة أهم صفة صريحة وجدت عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين فيقول: " تطبق الفم إذا نطق بها".[2]

وسار على نهج الخليل عدد من العلماء أمثال أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370) صاحب معجم تهذيب اللغة، فلم يضف شيئا لما قدمه الخليل إنما أعاد مقدمته شارحا المبادئ الصوتية للخليل.

---

[1] نفس المرجع، ص19.

[2] نفس المرجع، ص27.

المبحث الثاني: علم الأصوات الفونيتيكي عند النحاة.

لم تتوقف الدراسة الصوتية عند علماء المعاجم فقط، بل كان لعلماء النحو أيضا ملامح صوتية في دراستهم للنحو العربي، حيث نجد الكثير من الأصول النحوية تقوم على أسس صوتية في تفسير الظواهر اللغوية التي تطرأ على الكلمات.

ولعل خير دليل على هذا سيبويه (ت180هـ)من خلال منجزه العلمي الموسوم بـ"الكتاب" الذي يعد مشروعا علميا كبيرا لوصف العربية وتقنيتها وتصنيف مستوياتها المتخصصة بدرجة عالية من التكامل والتعمق.

تحدث في طيات "الكتاب" عن مخارج الحروف وصفاتها وترتيبها، وإن جل القضايا اللغوية التي جاءت فيه تعد مدخلا أساسيا لفهم خصوصيات أصغر مكونات اللغة (الحرف)، ومنه إلى إمتلاك معرفة صوتية كفيلة بتفسير الظواهر اللغوية وتحليلها في مستويات مختلفة.

فقد بدأ الحديث من تلك الحروف فقال: **"هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها واختلافها، فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، الألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاء، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والثاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والباء، والميم، والواو"**[1] وما يلفت الانتباه في هذا القول أن سيبويه خالف الخليل في ترتيبه للأصوات، حيث أنه يضع الهمزة والألف والهاء في أقصى الحلق وفي وسطه العين والحاء، وجعل للأصوات العربية ستة عشر مخرجا، للحلق منها ثلاثة، وفي كل منها صوتان دون القصد الى ترتيبها، وخصص لأصوات

[1] بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982، ج4، ص431.

الفم ثلاث مناطق، في أقصاه وأدناه ووسطه، "**وحدد لكل صوت مخرجا معينا ووصفه وصفا دقيقا**".[1]

أ- **أصوات الحلق:**

- **من أقصى الحلق:** جعل الهمزة والهاء، ومن وسطه جعل العين والحاء ومن أدناه الغين والخاء.

ب- **أصوات الفم:**

- **من أقصاه:** أي من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.

- **من الأسفل:** من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

- **من وسطه:** من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء، ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون.

- غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام مخرج الراء، وما بين طرف اللسان فويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد.

- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الطاء والذال والثاء. ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء. وما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.[2] ومن الخياشم مخرج النون الخفية.

-

---

[1] ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، سنة 1999، ص96.

[2] ينظر: سيبويه الكتاب، ج4، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ص433.

ثم انتقل سيبويه الى دراسة الأصوات ومخارجها بتحديد صفاتها من جهر وهمس وشدة ورخاوة ومنحرفة ومكررة ولينة وهاوية ومطبقة ومنفتحة[1] ومعنى هذا أنه عرف المجهور بقوله "إن المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه وضع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت"[2] والذي نفهمه من كلام سيبويه أن هناك قوة مع بعض الأصوات التي سماها بالجهر، كما وصفها بالاعتماد في الموضع، وعرف الهمس في قول "فأما الهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه"[3]

ومعنى هذا أن الأصوات المهموسة ضعيفة الاعتماد في موضعها، أي عدم تمكن الصوت أثناء جريانه في مجراه، مما يؤدي الى قلة وضوحه.

كما فرق بين المجهور والمهموس، حيث أن " أن الهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك، وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه"[4] ومعنى ذلك أن إمكانية تكرار الحرف هو ما يفصل بين الهمس والجهر في الصوت، لو أخذنا على سبيل المثال التاء والطاء والدال وقمنا بتكرارها وهي من مخرج واحد فإنه أمكننا التكرار في التاء وتعذر علينا ذلك في الطاء والدال.

ومنه فإن التاء صوت، مهموس والطاء والدال صوت مجهور كما تطرق أيضا لصفتي الشدة والرخاوة، فيعرف الأولى بقوله: "إن الشديد هو الذي يمنع الصوت أن يجرى فيه".[5]

ويقصد من هذا القول أن الانحباس في الصوت مع الشديد يكون مؤقت وقصير جدا، فالأصوات الشديدة عند سيبويه هي: الهمزة، ق،ك، ط، ت، د، ب، ل أما الأصوات الرخوة فهي: هـ، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث ، ذ، ف".[6]

---

[1] أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه، الكتاب، ج4، ص435-436.

[2] ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص101.

[3] المرجع نفسه، ص101.

[4] المرجع نفسه، ص99.

[5] المرجع نفسه، ص102.

[6] ينظر:المرجع نفسه ، ص113.

وقد سار على نهج هذا الباحث النحوي، كل من الزجاجي (في المائة الرابعة)، والزمخشري (في المائة السادسة)، الذي عقد في كتابه "المفصل" بابا خاصا أسماه "المشترك" أي ما يشترك فيه الإسم والفعل والحرف، كما نجد ابن يعيش (في القرن السابع هجري) في شرحه "المفصل" وابن الحاجب (في القرن السابع) في كتابه "الشافية" ورضي الدين الأسترآباذي (في القرن السابع) في شرح الشافية ينتهجون جميعا نهج سيبويه، ويعتبرون الأبحاث الصوتية جزءا من أجزاء النحو.

المبحث الثالث:علم الأصوات الفونيتيكي عند علماء التجويد.

يلتقي علماء اللغة وعلماء التجويد في الاهتمام بالأصوات، وإن تأخر علماء التجويد عن علماء اللغة في ذلك بأكثر من قرن ونصف من الزمن[1]، وربما يعود ذلك لدوافع كل منهما في دراسة الأصوات العربية، فإذا اطلعنا على المصادر العربية القديمة تبين لنا أنه من بين أسباب دراسة الأصوات العربية في مجملها عند القراء والموجودون كانت من أجل تصحيح النطق ومحاولة رفع درجة الفصاحة عند الأعاجم، ولا يخرج هذا كله من نطاق خدمة القرآن الكريم.

ويتبين الفرق بين علماء اللغة وعلماء التجويد في الدراسة الصوتية في أنها عند علماء التجويد كانت ترتبط ارتباطا مباشرا وبشكل أساسي "**بمعالجة ما سموه باللحن الخفي، فقد قسموا اللحن الى قسمين هما: اللحن الجلي وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وقالوا بأنه ميدان الصرفين والنحاة واللحن الخفي وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيها حقوقها من المخارج والصفات أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في كلام المنطوق، وقالوا بأن هذا هو ميدان عمل علماء التجويد**". [2]

---

[1] ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري، ص48.

[2] نفس المرجع، ص50.

ومن هذا القول يتضح أن الجانب الذي يعالجه علماء التجويد من ظاهرة اللحن هو ما تعلق بالنطق ومخارج الأصوات.

ولعل من بين علماء التجويد الذين كان لهم السبق في إرساء معالم الدرس الصوتي نذكر مثلا "أبو عمرو الدّاني" (ت444هـ) الذي لم يخرج عما جاء به سيبويه وكثيرا ما كان يورد في مؤلفه "التحديد في الاتقان والتجويد"، أن منهج سيبويه هو المعول الأساس عنده، وما يؤكد هذا قوله: " اعلموا أن قطب التجويد، وملاك التحقيق، ومعرفة مخارج الأصوات وصفاتها التي ينفصل بعضها عن بعض، وإن إشتراك في المخرج، وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، إذ هو المعول عليه إن شاء الله تعالى".[1]

وبهذا تكون أعضاء النطق عنده:

- **الحلق:** وقد قسمه الداني الى أقصى الحلق، وأوسطه وأدناه[2]، وهو على مذهب سيبويه في هذا.
- **اللسان:** وقسمه الداني الى أربعة أقسام، فقال: " اعلموا أن حروف اللسان ثمانية عشر صوتا، وله عشرة مخارج، وينقسم جميعها على أربعة أقسام: أقصى اللسان ووسطه، وطرفه وحافته"[3]، وهو أيضا على مذهب سيبويه، إذ نجد نفس التقسيم عند سيبويه.
- **الشفتان:** إكتفى الداني ببيان دور الشفتين في انتاج الأصوات، كما عند سيبويه وقسمها الى ما يخرج من باطن الشفة، وما يخرج من الشفتين، يقول: " اعلم أن حروف الشفتين أربعة، ولها مخرجان، فالفاء من مخرج واحد وهو باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا، وهي مهموسة والباء والميم والواو من مخرج واحد وهو ما بين الشفتين وهن مجهورات".[4]

---

[1] أبو عمرو الداني، كتاب التحديد، ص96.

[2] المصدر نفسه ، ص104.

[3] أبو عمر الداني، كتاب الادغام الكبير، ص78.

[4] المصدر نفسه ، ص78.

- **الخياشيم**: وهو العضو الرابع والأخير عند الدّاني، واعتد بها مخرجا للتنوين والنون الساكنة، وعرفها بقوله: "والخيشوم الخرق المنجذب إلى داخل الفم".[1]

- وقد عرفه المكي بن أبي طالب (ت 437هـ)وهو من معاصري الدّاني بقوله: "والخيشوم الذي تخرج منه الغنة، وهو المركب فوق غار الحنك الأعلى"[2]وذكر أيضا الحنك الأعلى في حديثه عن الأعضاء الرئيسة عنده فقال: " فالقاف بينه وبين وسط الحنك مخرج واحد"[3]، ثم يذكر الأسنان والثنايا والأضراس عند ذكر مخارج الأصوات من حافة اللسان وطرفه إذ يقول: " والظاء، والذال، والثاء من مخرج واحد وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا"[4] ومعنى هذا القول أنه اعتبر الظاء من بين أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس.

- أما عن صفات الأصوات فقد تباينت عند الكثير من علماء التجويد فقد اعتد بها مكي بن أبي طالب أربعا وأربعين صفة حيث قال في كتابه "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" : " لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها، حتى وجدت ذلك أربعة وأربعين لقبا وصفات لها"[5]

وكان أبو عمرو الدّاني وسطيا بين آراء معاصريه في صفات الأصوات فهي عنده ستة وعشر لقبا، حيث قال في كتابه "التحديد في الاتقان والتجويد":"اعلموا أن أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيناها ستة عشر صنفا: المهموسة، المجهورة الشديدة، الرخوة، المطبقة،

---

[1] المصدر نفسه ، ص78.
[2] المكي ابن أبي طالب، كتاب الرعاية، ص214.
[3] أبو عمر الداني، كتاب التحديد، ص106.
[4] المصدر نفسه، ص104-105.
[5] المصدر نفسه، ص105.

المنحفظة، المستعلية، المستقلة، حروف المد، حروف اللين، حروف الصفير، المتفشي، المستطيل، المتكرر المنحرف الهاوي، حرف الغنة".[1]

ولقد جعل ابن الجزري مقدمة كتابه النشر "في القراءات العشر" في بيان حروف العربية عددا ومخارج وصفات، ويقول في ذلك: " ولا بأس بتقديم فوائد لابد من معرفتها لمريد هذا العلم قبل لخوض فيه كالكلام عن مخارج الحروف وصفاتها وكيف ينبغي أن يقرأ القرآن من التحقيق والحدر والترتيل والتصحيح والتجويد والوقف والابتداء ملخصا مختصرا"[2]، وفي اهتمامه بالأصوات اللغوية حدد أنواع الحروف من جهتين أساسيتين، المخرج والصفات وقد أخذ في ذلك بآراء السابقين من العلماء، وبعد ما يناقشها ويحللها ويبني ما ينسجم مع معايير الضبط الصحة التي يؤكدها الاختيار والحس.

المبحث الرابع: علم الأصوات الفونيتيكي علماء البلاغة.

ساهمت الموسوعات البلاغية في مناقشة مسائل تعد من صميم البحث اللغوي الصوتي، ولاسيما الجانب الفيزيولوجي منها. فيعد أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ) صاحب أول خطوة عملية في بناء صرح البحث الصوتي، كانت غايته حماية اللغة وتحصينها من الخطأ فقد وضع علامات في نهايات الكلمات تحدد كيفية نطقها، وكان ذلك في كلمات القرآن الكريم، وهذا ما تضمنه معنى قوله "إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي فاجعل نقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين"[3] ومعنى هذا القول أن أبا الأسود الدؤلي يدرك بفضل ملاحظته الدقيقة دور الشفتين في نطق الحركات الاعرابية، التي تستند على الجانب الفيزيولوجي من الظواهر الصوتية، وبذلك فإنه بين العلاقة بين المستويين الصوتي والنحوي في الدرس اللغوي.

---

[1] المكي ابن أبي طالب، كتاب الرعاية، ص91.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج1، ص198، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت

[3] أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تعليق محمد زغم، محمد عزبي، دار الآفاق العربية، القاهرة، دط، 2003، ص18.

وقد اهتم الجاحظ أيضا (ت256هـ) في كتابه " البيان والتبيين" بالمسائل الصوتية فعرف الصوت على أنه "آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت"[1]

ويعني بهذا القول أن الصوت اللغوي هو الوحدة الأساسية التي يتألف منها الكلام، ولعل الدافع الأساسي الذي جعل الجاحظ يهتم بالدرس الصوتي هو علاقته الوثيقة بالعيوب النطقية وهي ناتجة عن أسباب عدة كالسرعة في الكلام التي تؤدي الى اللثغة، واللكنة وقد يكون لسبب عضويا مثل سقوط بعض الأنسان الذي يؤثر في تغيير مخارج بعض الأصوات.

كما اهتم أيضا بالدرس الصوتي من خلال دراسته لاختلاف اللهجات فعرف التبادلات الصوتية للغة العربية عند الأعاجم فمثلا " والتميمي ينطق الجيم زايا والنبطي ينطق الزاي سينا، والعين همزة.

أما الباقلاني (ت402هـ) صاحب كتاب "إعجاز القرآن" فقد تناول فيه مباحث صوتية بقصد تحليل آيات القرآن وبيان أوجه إعجازها وأهم ما ذكر في هذا الصدد ما يتعلق بفواتح السور، وسر اختيار حروف معينة لها ومن ذلك قوله "إن الحروف التي يبنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ليدل بالمذكور على غيره"[2] ومعنى هذا القول أن الباقلاني ذكر عدد حروف العربية وعدد السور التي افتتحت بالحروف الى تحديد صنفين منها، ما هي مهموسة وما هي مجهورة، المهموسة (الحاء، الهاء، الخاء، الكاف، الشين، الثاء، الفاء، التاء، الصاد، والسين) وما سوى ذلك فهي مجهورة فمثلا عن البدء بحروف "ألم"في سورة البقرة فقد أعطى تفسيرا بقوله "لأن الألف المبدوء بها هي أقصاها مطلقا، واللام متوسطة، والميم منطرقة لأنها نأخذ من

[1] الجاحظ أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط3، ص79/1.

[2] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1971، ص104.105.

الشفا، بذكرها من غيرها من الحروف، وبين إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين"[1] ومعنى هذا القول أن الباقلاني اعتمد في تفسيره لسبب البدء بتلك الحروف على ذلك الترتيب على مخارج الحروف فكانت الأسبقية للألف ثم تلتها اللام ثم الميم.

نضيف الى هذا السكاكي، فقد اهتم هو الآخر بالحديث والبحث فيما يتعلق بعلم الأصوات وذلك من خلال كتابه المشهور "مفتاح العلوم" إذ تكلم عن الحروف، ومخارجها فقدم وصفا دقيقا لها من خلال وصفة للجهاز النطقي عند الإنسان، مرفقا إياها برسم توضيحي.[2]

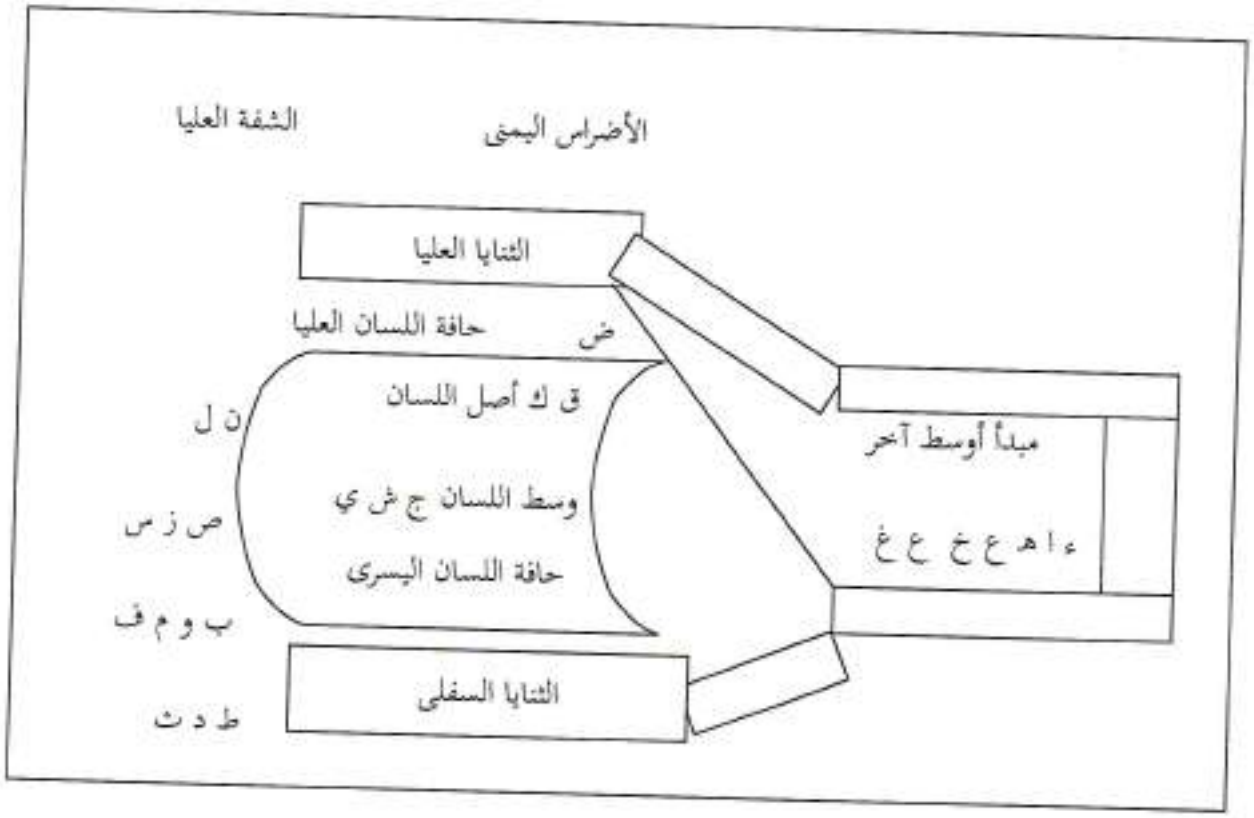

مخارج الحروف عند السكاكي.

[1] المرجع نفسه، ص114.

[2] ينظر: مذكرة المصطلح الصوتي عند ابن سينا في ضوء الدراسات الحديثة، رسالة أسباب حدوث الحروف أنموذجا، نسيمة قسايمي، ص34

المبحث الخامس: علم الأصوات الفونيتيكي عند الفلاسفة.

لقد كان للفلاسفة العرب دور بارز في ارساء معالم الدرس الصوتي أمثال ابن سينا الذي عالج أصوات اللغة في رسالته "أسباب حدوث الحروف" والتي قسمها الى ستة فصول تحدث في فصلها الأول عن سبب حدوث الصوت فقال: " الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعه بسرعة وبقوة من أي سبب كان، والذي يشترط فيه من أمر القرع عساه ألا يكون سببا كليا للصوت، بل كأنه سبب أكثري، ثم إن كان سببا كليا فهو سبب بعيد، ليس السبب الملاصق لوجود الصوت، والدليل على أن القرع ليس سببا كليا للصوت هو أن الصوت قد يحدث أيضا عن مقابل القرع وهو القلع"[1]، ومعنى هذا القول أن ابن سينا حدد ماهية الصوت استنادا على أنه تموج في الهواء ودفعه بقوة أي سبب كان، ويذهب في تحصيل هذا المذهب فهو يرى أن الصوت لا يمكن أن يحدث إلا إذا توفر عنصران أساسيان هما القرع والقلع، فالقرع كما يراه ابن سينا يحدث نتيجة تقارب جسمين تقاربا شديدا مثل الخشبة أو الصخرة، أما القلع فيحدث نتيجة تباعد أو انفصال كليا.

وفي الفصل الثاني والذي عنوانه (سبب حدوث الصوت) أيضا فتحدث عن طبيعة الصوت فقال: " أما نفس التموج فإنه بفعل الصوت، وأما حال التموج في نفسه من اتصال أجزاءه وتملسها أو تشظّيها وتشذّبها فيفعل الحدّة والثقل، أما الحدّة فيفعلها الأولان وأما الثقل فيفعله الثانيان"[2]، وهو بذلك يحدد نوعية الصوت فكلما كانت أجزاء الصوت متقاربة كان الصوت حادا وفي حين إذا كانت أجزاء الصوت متباعدة كان الصوت ثقيلا.

---

[1] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد طيان، حسان وبخي ميرو، علم تقديم ومراجعة شاكر فحام وأحمد راتب، دمشق، 1983، ص56.

[2] المصدر نفسه، ص59.

وقد ميز ابن سينا بين الصوت والحرف "وجعل الحرف هيئة للصوت عارض له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزا في المسموع"[1] ومعنى كلمة عارضة في هذا القول أنها تدل على أن للصوت حدوثا مؤقتا وليس حدوثا دائما مجمدا، وهي مشتقة من مصطلح عرضي أي ضد الجوهر.

والمتتبع لكلام ابن سينا يدرك أنه فرق بين الحرف كوحدة لغوية وبين الأصوات التي يمكن أن تصدر من مخرجه، تبعا للضغط الواقع عليه، إضافة الى ذلك تحدث عن صفتين متقابلتين للحروف فقال: " الحروف بعضها في الحقيقة مفردة، وحدوثها عن حبسات تامة للصوت وبعضها مركبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن تتبع اطلاقات"[2]، وفي هذا القول وصف ابن سينا الحروف على أساس طريقة النطق بها فالحروف المفردة هي الحروف الرخوة التي تحتاج عند النطق بها إلى جهد عضوي كبير أما الحروف المركبة فهي الحروف الشديدة التي تحتاج الى زمن أطول وجهد أكبر من الأول.

أما الفصل الثالث فقد خصصه ابن سينا لتشريع الحنجرة واللسان فعرف الحنجرة بأنها "عضو غضروفي خلق آلة للصوت"[3] ورأى أن الحنجرة واللسان تتكون من ثلاثة غضاريف، سمي الأول "الدرقي أو الترسي"، واعتبره من القصبة الهوائية لأنه موضوع الى قدام يناله المس الهمازيل عند العنف تحت الذقن وشكله شكل القصعة، والغضروف الثاني خلفه مقابل سطحه متصل به بالرباطات يمنة ويسرى، ومنفصل عنه، الى فوق ويسمى عديم الاسم والغضروف الثالث كقصعة مكبوبة عليها، وهو منفصل عن الدرقي مربوط بالذي لا اسم له وتستقران في نقرتين له ويسمى المكبي والطهرجالي.

يتبين لنا مما تقدم ذكره أن ابن سينا وصف غضاريف الحنجرة بدقة بحيث لا يمكن لأي دارس غير متخصص أن يقدم وصفه، وتتجلى براعته في استعمال مصطلحات الدرقي، عديم الاسم، والطهرجالي،

[1] المصدر نفسه، ص60.
[2] المصدر نفسه، ص60.
[3] المصدر نفسه، ص64.

إذ لم يشركه فيها غيره من اللغويين القدماء، وما يفسر ذلك أن ابن سينا كان طبيبا جراحا خولت له معرفته ودرايته بدقائق علم التشريح تقصي جزئيات جهاز النطق.

ويزيد ابن سينا الموضوع تدقيقا عندما يشرح اللسان، ويهتدي الى أن له ثماني عضلات تحركه:" عضلتان تأتيان من الزوائد السهمية التي عند الآذان... ومنها عضلتان تأتيان من أعالي العظم الشبيه باللام وتنفذان في وسط اللسان ومنها عضلتان تأتيان من الضلعين السافلين من أضلاع هذا العظم تنفذان بين المعرضتين وبين المطولتين.... ومنها عضلتان موضوعتان تحت هاتين إذا تشنجتا بطحتا اللسان[1]، ففي هذا المقام حدد ابن سينا موقع العضلات في اتخاذ اللسان وضعيات متباينة تختلف باختلاف مخارج الحروف ويتبين لنا من حديثه عن اللسان أن لم يهتم به كما اهتم بالحنجرة، إذا اكتفى بوصف عضلاته دون أن يشرح وظائفها وتأثيراتها على اللسان عند النطق بأحد الأحرف.

وفي الفصل الرابع تحدث عن كيفية صدور كل حرف من حروف العربية، " فوصف العملية العضوية مع كل حرف وصفا مفصلا، وتميز وصفه بمصطلحات تفرد بها مثل: مصطلح "المحابس" ثم رتب الحروف ترتيبا مخرجيا يشبه الى حد كبير ترتيب الخليل في كتاب العين، والخلاف بين الترتيبين يسير جدا، ولكن فيما يبدو أنه كان لابن سينا حكمة في ذلك الترتيب الذي آثره فقد جعل القاف بعد الخاء وقبلها العين، وجعل التاء مباشرة وأخر النون الى آخر الحروف"[2] ومثال ذلك مخرج الهمزة فهو يرى أنها " تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ومن مقاومة الطهرجالي الحاصر زمنا قليلا لحفز الهواء، ثم اندفاعه الى انقلاب بالعضل الفاتح وضغط الهواء معا.[3]

[1] المصدر نفسه، ص71.
[2] المصدر نفسه، ص84.
[3] المصدر نفسه، ص72.

وعلى هذا النسق يحدد بقية المخارج مرتبا إياها كالآتي:" الهاء- العين- الخاء- القاف- الكاف- الجيم- الشين- الضاد- الصاد- السين- الزاي- الطاء- الظاء- الذال- الراء- الفاء- الباء- الميم- النون- الواو الصامتة- الألف المصوتة- وأختها الضمة- الباء المصوتة- وأختها الكسرة".[1]

أما حديثه عن صفات الأصوات فكان ضمنيا من خلال دراسته لمخارجها فحين يتحدث عن الصاد مثلا فيقول: " ويحدث في اللسان كالتقعير حتى يكون لانقلاب الهواء كالدوي، وحين يتحدث عن الطاء يقول بعد أن حدد مخرجها ويربطه بمخرج التاء والدال: لكن الطاء يحبس في ذلك المحبس ليحدث هناك للهواء دوي عند الاخراج ثم يقلع ويكون الحبس ذو شدة قوي، وحين يفرق بين التاء والطاء يقول: وأما التاء يكون مثله في كل شيء، إلا أن الحبس بطرف اللسان فقط"[2]، وما نلاحظه من هذا القول أن ابن سينا لم يصرح بصفات المضبوطة كالهمس والجهر والاطباق.... بل تحدث عنها ضمنيا عند عرضه لمخارج الأصوات.

ويعد الفرابي من بين الفلاسفة الذين أسهموا في تشكيل الحلقة التأصيلية للدرس الصوتي، فإذا وقفنا على المفاهيم العلمية التي تناولها في هذا الجانب، نجدها تقترب من مفاهيم الدرس الصوتي الحديث.

فقد عالج الفرابي مبحث "المقاطع العربية" وكانت معالجته لها دقيقة وجادة في كتابه الموسوم بـ"الموسيقى الكبير" وبين أن المقطع هو حصيلة اقتران غير مصوت (صامت) بحرف مصوت (صائت) فقال: " المقطع مجموع حرف مصوت وحرف غير مصوت"[3]، ولخص بعد عرضه للعناصر الأساسية التي تشكل المقطع الى تقديم مفهوم للمقطع بوصفه نسقا صوتيا يبنى عليه الكلام، مع تحديده لأنواعه التي تكون الكلمات العربية ويؤكد هذا بقوله " كل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير وقرن به فإنه

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص85-72.

[2] المصدر نفسه، ص79.

[3] الفرابي، الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس عبد الملك، حشية دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، دط/دت، ص107.

يسمى بالمقطع القصير...وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنما نسميه المقطع الطويل"[1] ومن هذا القول يتضح أن الفرابي عرف المقطع بمعناه الاصطلاحي المعهود في الدرس اللغوي الحديث.

وقد فصل في الحديث عن حدوث الصوت وكيفية سماعه وادراكه بواسطة جهاز السمع وما يثبت ذلك قوله فيما يخص تركيبة الصوت أنه:" مماسة الجسم الصلب جسما آخر صلب مزاحما له عن حركة، والأجسام التي لدينا تتحرك الى جسم آخر في الهواء أو الماء أو في ما جانسهما من الاجسام التي يسهل اختراقها ، ومتى تحرك الجسم القارع الى المقروع الذي يقرعه ،فان أجزاء الهواء التي بينه وبين المقروع الذي يقرعه منها قد ينخرق (يسهل اجتيازه)وتبقى أجزاء لا تنخرق في الهواء ،ولكن تندفع بين يديه، فيضطره القارع إلى أن ينضغط بينه وبين الجسم المقروع فينفلت من بينهما ثانيا، كما يعرض للخرزة إذا ضغطت بين إصبعين أن تفلت من بينهما، ومتى نبأ الهواء اندفع بشدة بين القارع والمقروع مجتمعا متصل الأجزاء، فيحدث حينئذ صوت، وكلما كان الهواء الثاني بينهما أشد اجتماعا فحدوث الصوت فيه أمكن وأجود"[2]، ومعنى هذا القول أن الفرابي قد توصل الى سببين لحدوث الصوت وهما القرع والقلع،كما أنه أشار الى الدور الذي يؤديه الهواء في حدوث الصوت، فهو السبب الأساسي في حدوث ما يعرف في البحث الصوتي الحديث " بالذبذبات الصوتية"، وما ينبغي أن نسير اليه هنا هو أن الفرابي لم يذكر مصطلح "الذبذبات الصوتية"، ومع ذلك فقد تنبه الى السبب الذي يؤدي الى ظهورها فهي تحدث نتيجة القرع أو القلع والتي تنتقل إلى أذن السامع بواسطة الهواء.

وما نلاحظه أن علماء العرب القدامى قد درسوا الصوت المفرد فاشملت مؤلفاتهم على مباحث صوتية ،فالخليل بن أحمد الفراهيدي فقد ضمّن معجمه "العين" ببعض الآراء الصوتية، والأخفش الأوسط ألف كتابا في الأصوات، وابن السكيت كتاب في الأصوات ولشيخ اللغويين سيبويه دراسة في الأصوات أفرد لها جزءا من كتابه تحدث فيه عن سماتها ومخارجها، وائتلافها، ثم كانت الدراسات الواسعة

[1] المصدر نفسه ، ص107.
[2] المصدر نفسه ، ص110.

التي أصلها وتفرغ لها أبو علي الفارسي في كتبه ولاسيما البغداديات والشيرازيات والبصريات، والحجة في القراءات السبع"[1]، كذلك قام بعض الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا، الذي أفرد كتابه الموسوم بأسباب حدوث الحروف للدراسة الصوتية، هذا الى جانب ما قدمه اللغويون والنحويون والبلاغيون، من أمثال: ابن السراج (ت316هـ) والزجاج (ت311هـ)، والزجاجي (ت337هـ)، وابن سنان الخفاجي (ت466هـ) والسكاكي (ت 626هـ)، وغيرهم، ومنهم علماء التجويد والقراءات القرآنية فجهودهم في هذا الميدان لا تنكر، فهي تعد اللبنة الأساسية التي تبني الهيكل العام للتراث الصوتي[2]، ومن هؤلاء: مكي بن أبي طالب (ت437هـ)، وعبد الوهاب القرطبي (ت 461هـ)، أبو عمر والداني (ت444هـ)، ابن مجاهد (ت324هـ).

[1] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، دار الكتاب الحديث، دط، ص16.

[2] ينظر: علاء جبر محمد: لمدارس الصوتية عند العرب- دار الكتاب العلمية، بيروت، ص95.

الفصل الثاني

علم الأصوات الفونولوجي

لدى القدامى

المبحث الأول: علم الأصوات الفونولوجي عند علماء المعاجم.

على الرغم من أن الدراسات الصوتية عند علماء العرب القدماء لم تظهر كعلم مستقل، إلا أن المؤلفات العربية القديمة قد شملت في طياتها مباحث صوتية فتناولت دراسة الصوت المفرد وجوانبه، وحددت خصائصه المميزة واعتنت أيضا بدراسة جوانبه الوظيفية " ومن المعروف أن بعض الأصوات حين تدخل في بناء لا تبقى على حالها وإنما تطرأ عليها تغيرات نتيجة لوقوعها في سياق صوتي معين وتفسير هذه التغيرات ومعرفة أسبابها والقوانين التي تحكمها هي من صميم الدراسة الفونولوجية".[1]

أي أن تركيب الأصوات داخل بنية يتطلب حدوث تغيرات تطرأ على الصوت فتكسبه ميزة وظيفية، ومن علماء العربية من شغلتهم الدراسة الوظيفية للصوت اللغوي، نجد الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت175) الذي لم يكتف بدراسة الصوت معزولا، بل درس وظيفته دراسة علمية دقيقة، فتنوعت الظواهر الفونولوجية عنده بين خمس ظواهر وهي: زيادة الألف في الخماسي، ال تعريف، الادغام، الإعلال والابدال.

1- زيادة الألف في الخماسي:

قال الخليل "الألف في اسحنكك، اقشعر، اسحنفر، استبكر ليست من أصل البناء، وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عمادا وسلما للسان الى حرف البناء، لأن حرف اللسان حين ينطق الساكن من الحروف يحتاج الى ألف الوصل".[2]

بمعنى أن نطق حرف ساكن في البدأ يثقل على اللسان وظيفته في الأداء مما يفرض زيادة ألف الوصل قبل الحرف الساكن ليشمل النطق، وهذه الزيادة تصل الكلام ببعضه، وهي ما يعرف عند علماء اللغة بهمزة الوصل إلا أن الخليل قال عنها ألف الوصل، فهي لا تتصل بالألف من حيث أنها

---

[1] الدكتور حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، الطبعة الأولى، ص76.

[2] المرجع نفسه، ص54.

صامت طويل في مثل قال وباع، ولا بالهمزة من حيث هي شبه صائت مخرجها من بين الوترين الصوتين مثل أكل وأحمد وإنما هي تتصل بالصوائت القصيرة التي عدها الخليل من الزوائد.

سبب هذا الخلط يتصل باضطراب الجمع في تحديد مخرج الهمزة من ناحية وطبيعة الصوائت الطويلة والقصيرة من ناحية أخرى، والملاحظة هذه هي ملاحظة صائبة بحيث أن وقوع ألف الوصل في الخماسي لتكون عمادا وسلما للسان في نطق الحرف الساكن يحقق الغاية التي تكلم عنها في قوله:" فقدمت الزيادة متحركة لتصل الى التكلم"[1]، لكن هذه الميزة خاصة باللغة العربية فقط.

ويبدو أن الخلط في وصف ما يقع في أول الفعل الخماسي وفي غيره من الكلمات التي تبدأ بألف الوصل، كما قال الخليل أو بهمزة الوصل كما قال النحاة واللغويون من بعده، يرجع الى أسباب ثلاثة:

- الفرق في نطق الكلمات وكتابتها.
- تصورهم لما هو أصل في البناء وما هو زائد عنه.
- عدم معرفة مخرج الهمزة وصفاتها وطبيعة الحركات الطويلة والقصيرة وجهرها.

أما السبب الأول، فيظهر في النطق فقد شعر الخليل ومن بعده من النحاة واللغويين بأن هناك صوتا يسبق الصوت الصامت في مثل هذه الكلمات فعبروا عنه كتابة بالألف وهو فرق ظاهر في كثير من اللغات بين المنطوق والمكتوب والألف عندهم ساكنة دائما، أو كما يقول السيرافي " لا تكون متحركة بحال".[2]ومعنى هذا عندهم التقاء ساكنين ومن ثم تصور وجود كتابة همزة محركة بالكسر سهلت أو حذفت وبقيت حركتها فعبروا عن ذلك كتابة بالألف، ولذلك سماها الخليل ألف الوصل وسماها بعضهم همزة الوصل.

---

[1] د.حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، مرجع سابق، ص87.

[2] شرح كتاب سيبويه، 13/1.

يقول السيرافي معللا ذلك: "وإنما سميت الهمزة ألفا لأنها تصور بصورتها لأن الهمزة لا صورة لها، وإنما تصور بغيرها ولما كانت ألف لا تكون إلا ساكنة ولم يصح الابتداء بالساكن، جعل عوضها أقرب الحروف منها وهو الهمزة لقربها من الألف ولكثرة وقوعها زائدة".[1]

أما السبب الثاني فهو عدم احتسابهم الصوائت القصيرة جزءا من بنية الكلمة وهذا قد يجوز في بناء المعجم ولكنه لا يؤدي الى نتائج دقيقة في تحليل بنية الكلمة على المستوى الصوتي والفونولوجي.

وأما السبب الثالث، هو اضطرابهم في تحديد مخرج الهمزة والفرق بينها وبين الصوائت الطويلة والقصيرة.

2- ال التعريف:

قال الخليل "لولا أن الألف واللام بمنزلة قد وسوف لكانتا بناء بني عليه الاسم لا يفارقه، ولكنهما جميعا بمنزلة هل وقد وسوف خلال التعريف وتخرجان".[2]

بمعنى أن الخليل ينظر في أداة التعريف من ناحيتين: الأولى، مما تتركب أداة التعريف والثانية، أن أداة التعريف ليست جزءا من الاسم ولكنها تدخل عليه وهي في هذا تشبه هل وقد وسوف من حيث دخولهم في مواقع معينة، وهذا يتحدد من مفهوم الحرف عند الخليل وعند علماء العربية من بعد لأنهم غالبا ما يسقطون الصوائت من حسابهم عند الحديث عن بنية الكلمة.

وفيها يتصل بأداة التعريف، أن الخليل عندما يقول أنها مؤلفة من الألف واللام فإن ذلك يعني في الحقيقة أنها مكونة من ثلاثة فونيمات. هي: الهمزة+ الفتحة+ اللام لا من سورتين فقط، مثلها ذلك مثل هل وقد وهو ما ينسجم مع النظام الصوتي في الكلمات العربية، ولكن التسليم بأن أداة

---

[1] المصدر نفسه، ص69.

[2] المصدر نفسه ، ص324/3.

التعريف تتألف من ثلاثة فونيمات قد يشير عدة اعتراضات بعضها يتصل بسقوط الهمزة تخفيفا، وبقاء حركتها وهي الفتحة مع اللام في حالة الوصل ومع ذلك فإننا نجد أداة التعريف في بعض السياقات مسبوقة بكسرة لا بفتحة.

كما في قولنا (عادت البنت) ومعنى هذا أن الهمزة لم تسقط وحدها وإنما سقطت معها الفتحة، واستبدلت هذه الأخيرة بكسرة.

3- الادغام:

قال الخليل "اعلم أن الراء في اقشعر واستبكر هما راءان إن أدغمت واحد في الأخرى والتشديد علامته الادغام"[1] ومعنى هذا أن الراء في استكبر واقشعر ليست راءين كما قال الخليل وإنما هي راء واحدة أطول من الراء الغير مشددة.

فالراء هنا من قبيل الصامت الطويل مثلها في ذلك مثل أي صوت آخر مشدد أو مضعف في اللغة العربية مثل مدَّ وردَّ وصبَّ ودَرَسَ وعلم وغيرها.

غير أن الراء أكثر وضوحا في السمع من غيرها من الصوامت بل أن مصطلح التشديد الذي ذكره الخليل يدل على صحة ذلك، لأن الصوت المشدد ما هو إلا صوت طويل، يظهر ذلك من مصطلح التشديد وعلامة الشدة التي تدل على أن الخليل وغيره من علماء العربية القدماء كانوا يعتبرون الصوت الصحيح المضعف، سواء أكان راء أو غير ذلك صوتا واحدا يشد عليه الناطق أي يطيله أكثر من الصوت الصحيح العادي[2] لذلك قال الخليل أن الادغام يحدث عندما يخرج الصوتان

[1] المصدر نفسه ، ص54.

[2] د.حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل بن احمد الفراهيدي ، ط1، دار المعرفة الجامعية، ص86.

من موضع واحد فيثقل عليهم أن يرفعوا ألسنهم من موضع ثم يعيدونها الى ذلك الموضع للصوت الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة.[1]

ولذلك نجد أن الخليل وغيره من علماء العربية القدماء قد نظروا الى الصوت المضعف من زاويتين، زاوية النطق وحينئذ عدوا الصوت المضعف صوتا واحدا طويلا، ولذلك قالوا أن التضعيف يكون من موضع واحد من الناحية النطقية ولكنهم لاحظوا في الوقت نفسه أن الصامت المضعف والصامتين المتماثلين يتعاقبان في بعض الحالات فالدال مثلا صوت واحد طويل في الكلمة مثل مدَّ لكنها صوتان في مدد رغم أن مد ومدد صورتان لوحدة صرفية واحدة ومثل ذلك في ردَ ورددت واجترّ واجتررت، وهذا التعاقب ظاهرة لا يمكن تفسيرها إلا باعتبار كل من الدال المضاعفة في مدَّ وردَّ غيرها صوتين متواليين إلا أن الصوتين في حالة فك الادغام يفصل بينهما أي صوت آخر، بينما لا يفصل بينهما أي صوت في حالة الادغام وذلك على النحو التالي:[2]

- رد ⟵ ر+ فتحة+ د+ د+ فتحة.
- رددت ⟵ ر+ فتحة+ د+ فتحة+ د+ ت+ ضمة.
- يحسن ⟵ ي+ ضمة+ ح+ كسرة+ س+ س+ ضمة.
- يحسسن ⟵ ي+ ضمة+ ح+ س+ كسرة+ س+ ت+ فتحة.

ومعنى هذا أن هناك علاقة معرفية وفونولوجية ظاهرة بين هاتين الصورتين، أعني صورة المضعف وصورة الصامتين المتواليين من حيث انتهائها الى صورة صرفية واحدة، من حيث أن احداهما هي الأصل والأخرى نشأت عنها نتيجة لحذف الصائت القصير الواقع بين الصامتين المتواليين أو تغيير موقعه، كل ذلك يشير بوضوح الى أن الصامت المضعف ليس إلا صامتين متواليين.

---

[1] المصدر نفسه ، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص87.

4- الاعلال والابدال:

كان الخليل من أوائل علماء اللغة القدماء الذين قسموا أصوات العربية الى أصوات صحيحة وأصوات معتلة، وهو تقسيم استند فيه الخليل الى معايير فونيتيكية وفونولوجية، والدليل على ذلك أنه عدا الهمزة من الناحية الأولى صوتا صامتا مخرجه من أقصى الحلق ولكنه من الناحية الفونولوجية عدها من الصوائت الطويلة لأنه اعتمد في ذلك على معيار التغيير والانقلاب الذي يجمع بين الهمزة والصوائت الطويلة بدل على ذلك ما لاحظته الخليل من ابدال يقع بين الهمزة من ناحية والصوائت الطويلة من ناحية أخرى في عدد من السياقات الصوتية، يقول "ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن (يقصد الصوائت الطويلة) همز من قولك للمرأة افعلي وتسكت والاثنين إفعلا وتسكت وللقوم افعلوا وتسكت فإنما يهمزن في تلك اللغة لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعن أصل مبتدئهن من عند الهمزة"[1] وقد أثبتت التجارب المعملية كما يلاحظ أن الهمزة صوت غير مستقر أصلا فهو لا يأخذ شكلا معينا محددا لذلك نجد أن الهمزة تقلب الى ياء أو انقلاب الياء أو الواو الى همزة ومشاركة الألف في ذلك من قبيل الاعلال الذي هو تغيير يتصل أولا بالصوائت الطويلة عندما تقع في سياقات صوتية معينة من ذلك مثلا " ما لاحظه الخليل من أن كثير من العرب يستثقلون الهمزة الواحدة فلا يحققونها بل يحذفونها ويبدلونها بصائت طويل أيضا يكتب ألفا أو ياءا أو واوا ففي الحالة الأولى ينطقون:[2]

- رأس ← راس.
- بئر ← بير.
- مؤمن ← مومن.

---

[1] مقدمة التهذيب، ج1، ص51.

[2] حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، ص90.

حيث نجد أن سقوط الهمزة في الحالات الثلاث أدى الى إطالة الحركة السابقة عليها، فانقلبت الى الحالة الأولى فتحة طويلة تكتب ألفا وفي الحالة الثانية كسرة طويلة تكتب ياء، وفي الحالة الثالثة ضمة طويلة تكتب واو.

أما في الحالة الثانية، أي عندما تلتقي همزتان فأما أن تكون في كلمة واحدة مثل " آدم" أصلها "أادم" أو في كلمتين تنتهي احداهما بهمزة وتبدأ أخرى بهمزة أيضا مثل: (قرأ أبوك).

ففي حالة الكلمة المفردة تسقط الهمزة مع إطالة حركتها وذلك على النحو همزة+ فتحة+ دال+ فتحة+ ميم+ فتحة+ فتحة+ دال+ فتحة+ ميم.

أما في الحالة الثانية، أي وقوع الهمزة في كلمتين فكان الخليل يستحب هذا القول ويقول "إني رأيتهم حين أرادوا أن يبدلوا إحدى الهمزتين اللتين تلتقيان في كلمة واحدة أبدلوا الآخرة وذلك جاني آدم"[1] ومعنى هذا أنه في مثل (قرأ أبوك) تنطق على رأي الخليل (قر أبوك) وعلى رأي سيبويه (قرا أبوك) ففي حالة النطق بتخفيف الهمزة الأولى، نجد أن سقوط الهمزة أدى الى إطالة الحركة السابقة عليها فقبلت ألفا.

أما في الحالة الثانية وهي سقوط الهمزة الثانية فنلاحظ أن الهمزة سقطت ومعها حركتها واكتفى بالصائت الطويل وهو الواو (قر أبوك) هذا من ناحية إبدال الهمزة وإعلالها بالصوائت الطويلة، أما هذه الأخيرة ذاتها وهي الألف والواو والياء فتصور الخليل لها وعلماء العربية من بعده يتمثل في أمرين:

1- أنها أصوات ساكنة أ يمشكلة بسكون.

2- أنها دائما مسبوقة بحركة من جنسها في مثل قام وبيع أبوك، قال الخليل "ويخصون المعتل بالبناء لا يخصون به غيره من غير المعتل".

---

[1] المصدر نفسه ، ص91.

وقال أيضا " الواو الساكنة بعد الفتحة، والياء الساكنة بعد الكسرة والألف اللينة بعد الفتحة" ولكن هذا التصور على مستوى التحليل الفونولوجي جعله لا بعد الصوائت الطويلة في مثل قال وباع وأبوك حركات وإنما تصور أنها كالصوت الصامت ثقيل السكون والحركة.

ومن ثم فالتحليل الفونولوجي للفعل قال مثلا " يصبح طبقا لتصور الخليل على النحو التالي:

- قال ← قاف+ فتحة+ ألف+ سكون+ لام+ فتحة.
- ومثل ذلك أيضا تصبح:

بيع ← باء+ كسرة+ ياء+ سكون+ عين+ فتحة.[1]

- أبوك ← همزة+ فتحة+ باء+ ضمة+ واو+ سكون+ كاف+ فتحة.
- وفي أبوك تصبح:

أبوك+ همزة+ فتحة+ باء+ ضمة+ واو+ سكون+ كاف+ فتحة.

ومعنى هذا أنه كان يتصور الحركات الطويلة كأنها صوت صامت مشكل بالسكون، ويترتب على ذلك بالضرورة أنه يقبل الحركة وهذا غير صحيح وإنما هو صائت طويل يكتب ألفا، ومعنى هذا أن التحليل الفونولوجي الصحيح للكلمات مثل: قال، بيع، أبوك إذا اعتبرنا أن الصوائت الطويلة فيها تساوي صائتين قصيرين أي أن الألف بفتحتين، والواو تقدر بضمتين، والياء تقدر بكسرتين فيصبح التحليل على النحو التالي:

- قال ← قاف+ فتحة+ فتحة+ لام+ فتحة.[2]
- بيع ← باء+ كسرة+ كسرة+ عين+ فتحة.

---

[1] المصدر نفسه ، ص92.

[2] المصدر نفسه ، ص92.

- أبوك ← همزة+ فتحة+ باء+ ضمة+ ضمة+ كاف+ فتحة.

وقد ترتب على تصور الخليل الصوائت الطويلة كما لو كانت صوامت تقبل السكون والحركة أنما تسقط إذا جاء بعدهن حرف صامت مشكل بالسكون أي أن ذلك من قبيل التقاء الساكنين يقول: " إن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن قولك: عبد الله ذو العمامة، كأنك قلت ذُل وتقول رأيت ذا العمامة، كأنك قلت ذَل، وتقول مررت بذي العمامة كأنك قلت ذِل ونحو ذلك كذلك في الكلام أجمع".[1]

5- حكاية الصوت:

لاحظ الخليل كما لاحظ الكثير من علماء اللغة بعده سواء من العرب أو غيرهم، أن هناك بعض الكلمات التي توحي بشيء من دلالتها في أصواتها وأطلق الخليل على مثل هذه الكلمات مصطلح الحكاية، والخليل وعلماء اللغة يقصدون بذلك كلمات مثل الصلصة والزلزلة قال الخليل:" الحكاية أن الحاكي يحكي صلصلة اللجام، فيقول صلصل اللجام، وإن شاء قال صل مخففة مرة اكتفاء بها وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فيقول صل، صل، صل يتكلف من ذلك ما بدا له"[2] وقال أيضا " صر الجندب وصرصر الأخطب صرصرة فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدا وصوت الأخطب ترجيحا ونحو ذلك كثير مختلف"[3] وأشار سيبويه بعدما ذكر عددا من هذه الكلمات إلى نوع آخر منها يدل بصيغته على معناه مثل الغليان والغثيان وقال:" وهذه الأشياء لا تضبط بقياس ولا بأمر أحكم من هذا وهكذا مأخذ الخليل"[4].

---

[1] المصدر نفسه ، ص93.

[2] العين، تحقيق د. عبد الله درويش، ص21.

[3] المصدر نفسه، ص22.

[4] حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، ص95.

هذا ما أخذه الخليل واستنبطه من قوانين تحكم صياغة هذا النوع من الكلمات، ومنه نلاحظ أن الخليل لم يفرد صوتا معينا بدلالة ما وإنما كان ينظر الى مجموع الأصوات داخل البنية، كما حرص على أن يقول أنهم "توهموا" كأنما يرى أن حكاية الصوت من قبيل التقريب والتوهم لا على سبيل التحديد والقطع، وبالتالي لم يقل الخليل بدلالة الصوت المفرد.

لعل ذلك هو ما جعل الخليل يقول أنهم توهموا في صوت الجندب مدا، وفي صوت الأخطب ترجيحا وهذا التوهم هو ما يجعل حكاية الصوت أو الكلمات ذات الجرس المعبر تختلف من لغة الى لغة حتى وهي تقلد أصوات الطبيعة.

وما نستنتجه مما سبق، أن الخليل قد انفرد بمنهج خاص، لا يقوم على دراسة الأصوات اللغوية في ذاتها، وإنما يتخذ من الدراسة الصوتية مدخلا للعمل المعجمي، ولما كان عمل المعجم يقوم على مبدأين أساسيين هما:

الترتيب والشرح، أي ترتيب المفردات وفق نظام معين ثم شرح دلالات هذه المفردات.

رأى الخليل أن الترتيب الصوتي وفق مخارج الأصوات الأرفع، فالأرفع نظام مناسب ترتب على أساسه الكلمات تتألف من أصوات، فقد بدأ الخليل بدراسة أصوات العربية التي تتألف منها الكلمات ثم أخذ ينظر الى هذه الأصوات داخل البنية من حيث علاقتها ببعضها البعض، وصلة ذلك ببنية الكلمة العربية فدرس الخليل بعض الظواهر الفونولوجية مثل الادغام والاعلال، وحكاية، الصوت والابدال وغيرها التي بينت تصور التفكير الصوتي عنده، ثم جاء بعده أصحاب المعاجم كالأزهري في " تهذيب اللغة" وابن سيدا "في المحكم" والقالي" في البارع" وقد اتبعوا نفس منهج الخليل في دراستهم للصوت اللغوي.

المبحث الثاني: علم الأصوات الفونولوجي عند النحاة

يعد سيبويه (ت180هـ) من النحاة الأوائل الذين كانت لهم أهمية بالغة في إرساء معالم الدرس الصوتي العربي، فقد تطرق الى دراسة الأصوات وحدد مخارجها ولم يقف عند حدود الصوت المفرد بل تعداها الى دراسة الأصوات المركبة في مدرج الكلام وما يثبت ذلك أنه درس بعض الظواهر الصوتية في ثنايا مؤلفاته النحوية كظاهرة الابدال، فذكر الابدال أثناء حديثه عن لأصوات التي يبدل منها كحديثه عن الهمزة قائلا: " اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء، التحقيق والتحفيف، والبدل[1]، وتحدث أيضا عن ظاهرة الادغام ففصل فيها تفصيلا، والادغام عند سيبويه في صوتين يكون في يدخل الأول في الآخر، والآخر على حاله، وبقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد نحو: قد تركتك ويكون الآخر على حاله"[2]، ومعنى هذا القول أن الادغام عنده إما أن يكون لصوتين متماثلين يدغم الأول في الثاني أو متقاربين في المخرج أو الصفة.

وقد تناول سيبويه الادغام في جميع الأصوات واستدرك عليه المبرد إدغام العين والحاء في الغين والخاء قائلا: "ولم يذكر ذلك سيبويه، ولكنه مستقيم في اللغة، معروف جائز في القياس".[3]

وقد ذكر السيرافي في (رسالته) ما ذكره الكوفيون في الادغام من أن آراء الفراء والكسائي تخالف آراء سيبويه.

ويعد ابن السراج (ت316هـ) أيضا من بين النحاة الذين كانت لهم إطلالة محمودة في البحث الصوتي وخاصة ما ذكر في كتابه "الأصول في النحو"، فعرف الادغام بقوله " وصل حرف ساكن بحرف مثله من موضعه من غير حركة، تفصل بينهما ولا وقف فيصيران بتداخلهما كحرف واحد،

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج4، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، لقاهرة، ص227.

[2] المصدر نفسه ، ص250.

[3] د.حورية زلاقي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مقال ملامح نظرية فونولوجية في التراث العربي، العدد الثالث، 2018، ص122.

ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة ويشتد الحرف، ألا ترى كل حرف شديد يقوم في العروض وفي الوزن مقام حرفين الأول منهما ساكن"[1].

ومعنى هذا القول أن ظاهرة الادغام ناتجة عن تأثر الأصوات بعضها في بعض عند تجاورها في مدرج من مدارج الكلام، وذلك التأثير يكون ناتج عن اشتراك حرفين في الخصائص الصوتية من حيث مخرج وصفات كل منهما، وبهذا قد استطاع ابن السراج أن يحدد أنواع الادغام : فالنوع الأول منه هو الادغام المتصل فيقول فيه: " أن يجتمع حرفان في كلمة واحدة، وذلك في الفعل الثلاثي الذي لا زيادة فيه فجميعه مدغم متى التقى الحرفان من موضع واحد، متحركين حذفت الحركة وأدغم أحدهما في الآخر مثل: فرَّ، سرَّ والأصل فرَرَ، سرَرَ.[2]

أما النوع الثاني: فهو الادغام المنفصل فيكون في حرفين من كلمتين منفصلتين وهو نتيجة التقارب المخرجي بينهما وهذا النوع شرحه ابن السراج في مثاله:

في لغة بني تميم يقولون :" مع هؤلاء ⟸ محاؤلاء".[3]

ومعنى هذا المثال أنهم يقولون **محاؤلاء** وهم يقصدون **مع هؤلاء** وذلك لأنهم يدغمون العين والهاء ولما كان الصوتان كلاهما من نفس المخرج (أقصى الحلق)، إدغما في بعضهما فصار يسمعان حرفا واحدا هو **الحاء**.

وقد تناولت العديد من المؤلفات النحوية ظواهر صوتية لعل من أبرزها: كتاب "الابدال" لابن السكيت الذي يعرف أيضا بالقلب والابدال، كتاب "الابدال" لأبي الطيب اللغوي.

---

[1] الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1985، ص65.

[2] المصدر نفسه ، نفس الصفحة.

[3] المصدر نفسه ، ص67.

المبحث الثالث:علم الأصوات الفونولوجي عند علماء التجويد.

لم يكتف علماء التجويد بوصف كيفية أداء كل حرف على حدة أي في حالة الافراد بل تحدثوا أيضا عن حالة تركيب الحروف، فهي في هذه الحالة تتبادل التأثير حيث يقول ابن الجزري في هذا الصدد " فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدى مُوفٍ حقه فليعمل نفسه بأحكامه حالة التركيب لأنه ينشأ عن تركيب ما لم يكن حالة الافراد، وذلك ظاهر فكم ممن يحسن الحروف ولا يحسنها مركبة، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقرب وقوي وضعيف، ومفخم ومرفق، فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرفق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه الا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالاتقان والتدرس".[1]

ففي هذا القول دلالة واضحة على أن تركيب الأصوات يغير نطق بعضها و في هذا المقام يقتصر حديثنا على ذكر بعضها فقط وذلك من أجل الكشف على نظرة علماء القراءات الدقيقة في هذا المبحث.

1- الادغام:

عرفه جلال الدين السيوطي(ت911هـ) فقال" هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا وينقسم الى كبير وصغير، فالكبير ما كان أول الحرفين متحركا سواء أكان مثلين أم جنسين أم متقاربين....قال في تقريب النشر ونعني بالمتماثلين ما اتفقا مخرجا وصفة، والمتجانسين ما اتفقا واختلفا صفة، والمتقاربين ما تقاربا مخرجا أو صفة....".[2]

---

[1] غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، ط2، 2007، ص58.

[2] المرجع نفسه ، ص86.

"أما الادغام الصغير، هو ما كان الحرف الأول فيه ساكنا"[1] نخلص من هذا التعريف الى أن الادغام ظاهرة صوتية ناتجة عن تجاور الحروف وتأثير بعضها في البعض الآخر، في مدرج كلامي معين، وذلك التأثير ناتج عن إلتقاء حرفان يشتركان في الخصائص الصوتية من حيث المخارج والصفات فتتجسد معالم تلك الظاهرة عندما تتجاوز حروف معينة، فكلما تماثلت أدت الى ظهورها بحيث يصير الحرفان واحدا والأمثلة كثيرة في هذا الصدد نذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى" أينما تكونوا يدرككم الموت" (النساء 78).

ففي هذه الآية أدغمت الكاف الأولى في الثانية، ونطق بها حرفا واحدا مشددا فتنطق (يدركم).

ولقد قسم علماء القراءات الادغام الى قسمين: الادغام الكبير والادغام الصغير، فمثال الأول: إدغام حرف الباء في مثل قوله تعالى " ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم" (البقرة 20) حيث قرئت الآية بادغام الباء الأول في الباء الثاني وذلك بإسكان الأول حيث تقرأ (ذهبت).

ومثال الإدغام الصغير قوله تعالى " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" (البقرة 256) حيث يدغم حرف الدال الساكن في حرف التاء المتحرك في قوله: (قد تبين) فتقرأ (قتبين)، وبعد عرضنا لتقسيم الادغام عند علماء القراءات تبين لنا أنهم استندوا في تحديد الى الجانب الفيزيولوجي لماله من أهمية كبيرة في ضبط مباحثهم لا سيما مبحث الادغام، فأساس تقسيمهم له هو الفروق الصوتية الموجودة بين بعض الأصوات، وقد اهتدوا عليها باعتمادهم على تأملهم الحسي الذي مكنهم من استنباط معايير وأسس تضبط تلك المباحث.

2- الإبدال:

[1] المرجع نفسه ، ص97.

من بين الظواهر التركيبية التي عنى بها علماء القراءات عناية كبيرة ظاهرة الابدال، التي تحدثوا عنها نتيجة تركيب صوت مع صوت آخر، وهو في اصطلاحهم: "....جعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل".[1]

وما تنبه إليه علماء القراءات في هذا الصدد هو "أن عملية الابدال لا تتعلق بكل الحروف، إنما هي خاصة ببعضها دون البعض الآخر، فمثلا حرف السين يبدل صادا إذا وقع قبل حرف مستعل والحروف المستعلية سبعة" هي" (القاف، الخاء، الغين، الصاد، الضاد، والطاء)[2] مثل: مسقط (مصقط) سخر (صخر) سيصلي (صيصلي)...إلخ نماذج من المصطلحات الصوتية التي اختص بها القراء، فكان تحديدهم لما يرتكز أساسا على المستوى الأدائي للأصوات اللغوية، ذلك ما عني به علم التجويد.

من خلال تتبعنا لأهم المباحث الصوتية التي تعرض لها علماء القراءات عند تفسيرهم لبعض الظواهر الصوتية التي كانت تثيرها القراءات القرآنية المختلفة تبين لنا أنها ارتكزت أساسا على ملاحظات حسية دقيقة مكنتهم من ضبط المعايير التي تتحكم في تحديد الصيغ الافرادية، والتركيبية لحروف اللغة العربية داخل سياق كلامي معين، فكانت تفسيراتهم لتلك الظواهر على قدر كبير من الأهمية لا سيما في جانبها الصوتي، إذ يعتبر علم القراءات رصيدا حافلا بالمسائل الصوتية التي تحتاج اليها الصوتيات الحديثة لإثراء مباحثها خاصة بعد ما عمقت مباحثه وضبطت مصطلحاته.

إضافة الى ذلك فقد أصبح علم القراءات فيما بعد أصلا لعلوم اللغة العربية مما يمكن استخلاصه أن اهتمام علماء القراءات، انصب على الجانب التطبيقي العملي الخاص بكيفية نطق الأصوات في مختلف السياقات الصوتية ولم ينصب على التنظير والتقعيد هذا ما تنبه إليه النحاة

[1] المرجع نفسه ، ص377.
[2] المرجع نفسه ، ص389.

واللغويين إذ يعود لهم الفضل في وصف ما كان آداء عند القراء واستخلاصهم قواعد ثابتة تحكم الوجوه الأدائية للأصوات.

المبحث الرابع: علم الأصوات الفونولوجي عند علماء البلاغة.

عني علماء العرب اللغويين، بالمسائل التي تتعلق بالدرس الصوتي ومنهم على سبيل المثال الفراهيدي وسيبويه والفراء والأخفش إذا أنهم تناولوا مجموعة من الدراسات الصوتية التركيبية التي لم يتناولها الجاحظ كالابدال والاعلال والقلب والادغام والاخفاء والإظهار والوقف والمعاقبة[1] إضافة ال بعض المعالجات التطبيقية لظواهر الاسكان والاتباع والاشمام والإمالة والتقاء الساكنين والتثقيل والتخفيف والحركة المركبة والروم والمدولم يتناول الجاحظ هذه المسائل بالدرس على حد علمنا.

والجاحظ (ت256هـ)وعلى الرغم من كونه من أصحاب المصنفات الأدبية إلا أنه تنبه للظواهر الصوتية، إذ أنه عرف اختلاف اللهجات، ونبه على التبدلات الصوتية للغة العربية عند الأعاجم، وعالج في كتابه (البيان والتبيين) الأصوات التي تدخلها اللثغة[2]، ودرس التعلثم الذي تنهت عليه الدراسات.

فهو لم يؤلف كتابا خاصا بالأصوات بل ضمن اسهاماته في هذا المجال في مؤلفه "البيان والتبيين" وكانت إسهاماته منقطعة النظير، فهو لم يقلد السابقين له تقليد أعمى، لكنه وبإفادته مما قدموه لفت أنظار قراءه الى ظواهر أخرى وهو الرائد في مجالها وهو حديثه عن عيوب النطق سواءا أكانت عيوبا ناتجة عن نطق الأعاجم لأصوات العربية، أم ناتجة عن نطق العرب وقبل ذلك كله نجده

عائشة محمد عثمان، ياسمين سعد الموسى، مقال دور الجاحظ في الدرس الصوتي العربي، المجلد43، العدد2، 2016،
[1] ص242.

[2] المرجع نفسه ، ص842.

قد عرف الصوت وأشار الى الحروف الأكثر دورانا في الكلام مما يجعل الدرس الصوتي عند الجاحظ يصب في عمق الدراسات الصوتية الحديثة.

الفصل الثالث

الدرس الصوتي عند ابن جني من خلال كتاب سر صناعة الإعراب

_ابن جني ترجمة حياته:

1/ نسب ابن جي:

هو عثمان ابن جني، ولا يعرف من نسبه من وراء هذا، وذلك أنه عربي وكان أبوه جني روميا يونانيا، وكان مملوكا لسليمان من فهد بن أحمد الأزدي، ومن ثم ينسب ابن جني أزديا بالولاء، فيقول في آخر المنصف شرح تصريف المازني قال: أبو الفتح عثمان بن جني الأزدي" ولا تذكر لنا المراجع التي بأيدينا شيئا عن أبيه أين كان قبل أن يقدم الموصل إن كان هاجر إليها ولم يكن ولد فيها، ولا ماذا كان يعمل لمولاه.[1]

2/ مولده:

ولد ابن جني في الموصل ويقول من ترجم له أنه ولد قبل الثلاثين والثلاثمئة من الهجرة، ولا يعينون مولده بعد هذا، إلا "أبا الفداء" في "المختصر" فهو يذكر أن وفاته سنة 302هـ، ويقول "ابن قاضي شهبة" في " طبقات النحاة": أنه توفي وهو في سن السبعين، فإذا أخذ بهذا وروعي أن وفاته كانت في سنة 392هـ فإن ولادته تكون في سنة 322هـ أو سنة 321هـ "فقد نشأ ابن جني في الموصل، وتلقى مبادئ التعليم فيها وقد أخذ النحو عن أحد من شيوخه في الموصل سوى هذا الرجل، ولا تذكر المراجع تاريخ وفاته، ولم نجد له فكر في طبقات الشافعية ولا ندري لما لقب بالأخفش لخفش في عينيه أم لشهرته بالنحو فقيل له الأخفش كأنه الأخفش المشهورية وهو سعيد بن مسعدة".[2]

والنحو في الموصل قديم، بثه فيها مسلمة بن عبد الله القهري، أخذ النحو عن خاله عبد الله بن أبي اسحاق الخرضرمي، وكان في آخر عمره مؤدبا "لجعفر بن أبي جعفر المنصور" ومضى معه الى

[1] أبي عثمان ابن جني، الخصائص، ج1، ص5.
[2] المصدر نفسه ، ج1، ص9-10.

الموصل فأقام بها، ويذكر "ابن خلكان" أنه قرأ الأدب في صباه على أبي علي الفارسي، ولم يذكر أين كان ذلك والمعروف عن أبي علي أنه دخل بغداد سنة 307هـ فهل أخذ عنه في بغداد إذا صح ما روا ابن خلكان. ويقول ابن ماكولا:" سمع جماعة من المواصلة والبغداديين" والمواصلة أهل الموصل والواحد موصلي وظاهرة الأمر أن ذلك كان في صباه، كما أنه لم تثقفنا المصادر على خلقه وسماته الجسمية.

3/ من أخذ عنه من العلماء والاعراب:

قلنا فيما سلف: أن ابن جني أخذ النحو في شبيبته عن أحمد بن محمد الموصلي وقد أخذ فيما بعد علي فأكثر الأخذ عنه، وهو الذي أحسن تخريجه و نهج له البحث، وفتق له سبل الاستقصاء والتوسع في التفكير وقد أخذ كثير من رواة اللغة والأدب، ومن هؤلاء "أبو بكر محم بن الحسن" المعروف بابن المقسم.[1]

والذين أخذ عنهم وكان يثق بلغتهم "أبو عبد الله الشعري" من أقواله فيه: " وعلى نحو ذلك فعرضني قديما بالموصل أعرابي عقيل جوف تميمي يقال له محمد ب العساف الشجري وقلما رأيت بدويا أفصح منه"[2]

وكانت له بعض العبارات الخاصة به حيث اشتهر ابن جني ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام والابانة عن المعاني بأحسن الوجوه الأداء وهو يسمو في عبارته، ويبلغ بها ذروة الفصاحة، في ابوسائل والمسائل العلمية الجافة البعيدة عن الخيال ووجوه النظرية، وقد عرف عنه هذا فهو يستعمل (الأصيل) في معنى التأصيل.[3]

---

[1] أبي عثمان ابن جني، مرجع سابق، ص14.

[2] المصدر نفسه ، ص15-16.

[3] المصدر نفسه ، ص27.

وهو يدخل (قد) على الفعل المنفي. ففي الخصائص 20/1: "كما أن القول قد لايتم معناه الا بغيره " وهذا لا يجيزه النحويون، وهو يدخل (ال)على بعض، والنحويون يمنعون هذا، وإن جاء في عبارة سيبويه والأخفش، وأمثلة هذا ما جاء في الخصائص 24/1: " فلما كان الأمر كذلك واقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض"[1] وقد كان لعثمان تأثير كبير فيمن بعده، ففتح في العربية أبوابا لم يتسن فتحها لسواه ووضع أصولا في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ المعاني: وإهمال ما أهمل من الألفاظ، وغير ذلك، وكان بذلك إمام يحتاج الى اتباع يمضون في سبيله ويبنون على بحوثه، وإذا نضجت أصوله وبلغت إناعا، ولكنه لم يرزق هؤلاء الأتباع.[2]

4/ أسرته:

كل ما يعلرف عن أسرة ابن جني له من الولد ثلاثة: علي وعال وعلاء ويقول فيهم "ياقوت" وكلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم، وحسن خطوطهم"[3]

5/ وفاته:

يبلغ ابن جني المنهل الذي يرده كل من على ظهرها، وألقى عصا التسار في هذه الحياة في يوم الخميس السابع والعشرين من صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة ويكاد الرواة يجمعون عن ستة وفاته".[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص29.

[2] المصدر نفسه، ص33.

[3] المصدر نفسه، ص55.

[4] المصدر نفسه ،ص59.

- آثاره ومؤلفاته:

أثرى ابن جني المكتبة العربية بمصنفاته الكثيرة والمفيدة والتي بلغت نحو خمسين مؤلفا شهيد لها بقيمتها الكبيرة، فما هو الشيخ محمد الطنطاوي يقول فيها:" ومؤلفاته تبهر الأفكار، فإنما مع كثرتها غاية في الإتقان".[1]

وقد تنوعت علوم مؤلفاته فمؤلف في اللغة وفي النحو وأصوله في التصريف وفي الأدب والشعر وفي الفقه والقراءات ومن أهم مؤلفاته ما يلي:

1/ الخصائص.

2/ التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغلقه السكري.

3/ سر الصناعةالاعراب.

4/ شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها.

5/ شرح المقصور والممدود عن السكيت.

6/ تعاقب العربية.

7/ تفسير ديوان المتنبي الكبير.

8/ اللمع في العربية.

9/ مختصر التصريف المشهور بالتصريف الملوكي.

[1] نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ص21.20.

10/ مختصر العروض والقوافي.

11/ الألفاظ المهموزة.

12/ المقتضب في اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي.

13/ المحاس في العربية.

14/ النوادر الممتعقة في العربية.

15/ الخاطريات.

- **قراءة في كتاب سر صناعة الاعراب:**

يعد كتاب " سر صناعة الاعراب" من تأليف أبي الفتح عثمان ابن جني من أجل الكتب القيمة في دراسة الأصوات اللغوية كما يدرس هذا الكتاب شيء من النحو الاعرابي وإشارات بلاغية قليلة.

نشر الجزء الأول من هذا الكتاب سنة أربع وسبعين بع الألف وثلاثمائة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بمطبعة المصطفى الباي الحلبي، نشر هذا الجزء مجموعة من المحققين، وأعيد نشر هذا الجزء والجزء الثاني والأخير منه بتحقيق محمد حسن اسماعيل وأحمد رشدي سحاته عمر، نشرت دار الكتب العلمية بيروت في طبعته الأولى عام 1421هـ[1].

ذكر ابن جني كتابه " سر صناعة الاعراب" في إجازته بمؤلفاته وقال: "....كتابي في سر صناعة الاعراب....." إلا أن الكتاب اشتهر باسم " سر صناعة الاعراب" فمعنى سر صناعة الاعراب هو "

[1] د. محمد بن مريسي الحارثي، جريدة الرياض، العدد 13989، الخميس 20 رمضان 1427هـ، 12 أكتوبر 2006م.

سر صناعة الكلام الفصيح المبين عن المعاني"، ويعد ابن جني أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته في كتابه "سر صناعة الاعراب".[1]

1/ الهدف من تأليفه:

قال ابن جني في مقدمة كتابه: "...أنا أضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منهما وكيف مواقعه في كلام العرب وأن تقضى في ذلك وأشبعه وأؤكده".[2]

نستخلص من هذا القول أن "أبي فتح عثمان" أراد بهذا الكتاب دراسة حروف المعجم دراسة صوتية، بذكر أحوال هذه الحروف، في مخارجها، ومدارجها وأصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها، ومطبقها ومفتحها، وساكنها ومتحركها، ومضغوطها ومهتوتها ومنحرفها ومشربها، ومستويها ومكررها، ومستعليها ومنخفضها، إلى غير ذلك من أجناسها.[3]

كما أراد "ابن جني" بهذا الكتاب أن يتقضى القول في ذلك، بمعنى أن يبلغ الغاية في القول وأن يشبعه دراسة وتمحيصا، ويؤكد تمثيلا من كلام العرب شعرا ونثرا وقد كان له ذلك، فقال: "....وما علمت أن أحدا من أصحابها خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعته هذا الإشباع...."[4].

2/ مباحثه:

تضمن كتاب "سر صناعة الاعراب" مقدمة تليها ثمانية وعشرون بابا تليهم ثلاث فصول.

---

[1] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عن العرب، (التأثير والتأثر) عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003م، ص100.

[2] ابن جني، سر صناعة الاعراب، ج1، ص16.

[3] ابن جني، سر صناعة الاعراب، ج1، ص17.

[4] المصدر نفسه ، ص70.

أما المقدمة فقد تضمنت مجموعة من المواضيع الصوتية قال ابن جني: "....احتجنا اليها قبل ذكر الحروف مفصلة..."[1]

أ/ تحدث ابن جني في بداية مقدمته عن هدف تأليفه للكتاب وما اشتمل عليه.

ب/ تحدث عن الصوت والحرف بين، ما هو الصوت وما هو الحرف، واختلاف أجراس الحروف فقال:"....اعلم أن الصوت غرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عم امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها..."[2] ثم تحدث عن كيفية معرفة صدى الحرف بأن يؤتى به ساكنا بعد همزة وصل مكسورة.

ج/ تحدث عن الحروف التي اتسعت مخارجها وهي حروف اللين: الألف، الواو، الياء.

د/ شبه الحلق والفم بالناي ووتر العود وأعطى أوجه الشبه في ذلك.

هـ/ عرف الصوت ومثل له من كلام العرب ثم عرف الحروف ومثل لها بكلام العرب ثم تحدث عن الحركات الفتحة والضمة والكسرة وعلاقتها بالألف والواو والياء.

و/ تحدث عن الحروف في الحركة والسكون وعن محل الحركة من الحرف قبله أو معه أو بعده

هذا ما جاء في المقدمة ولنل أن تجمع موضوعات الكتاب الآتي:

1- وصف جهاز النطق.
2- عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها.
3- وصف مخارج الحروف وصفا تشريحيا دقيقا.

---

[1] ابن جني، سر صناعة الاعراب، مصدر سبق ذكره، ج1، ص19.
[2] المصدر نفسه ، ج1، ص20.

4- الأجراس الطبيعية لحروف، وبيان صفاتها الطبيعية وتقسيمها الى أقسام.

5- ما يعرض للصوت عند بناء الكلمة ومقاربته لآخر من تغيير يؤدي إلى الاعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

6- بيان الشاذ والمقيس من أنواع التغيير في الحروف والاستشهاد عليه.

7- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد، ورجوعها الى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج

- الدرس الصوتي عند ابن جني: الجانب الفونيتيكي.

لقد شكل العلامة أبو الفتح عثمان ابن جني منعطفا حاسما في تاريخ البحث الصوتي بكتابه " سر صناعة الإعراب" فهو من النحاة الذين استعملوا مصطلح (علم الأصوات)، فشملت دراسته مفاهيم عديدة وردت في كتاب سيبويه، غير أنه أفاض فيها كثيرا، وكان له فيها جديده الذي يتميز به.

وترجع قيمة كتابه الى أنه أصبح مصدرا أساسيا للدراسات الصوتية العربية إذ لا يذكر علم الأصوات إلا مقرونا باسمه، وتمثلت أولى خطوات بحثه في تبين الفرق مصطلحي الصوت والحف، فالصوت عنده:" عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"[1] ومعنى هذا أن ابن جني يسمي المقطع حرفا، والمعروف أن المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف وبهذا فرق بين الحرف كوحدة لغوية وبين الأصوات التي يمكن أن تصدر من مخرجه، تبعا للضغط الواقع عليه.

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن للنداوي، دار القلم، دمشق، 1985، ص6.

- **ترتيب الأصوات حسب مخارجها:**

يوزع ابن جني الأصوات العربية على مكان مخرجها، ويجعلها ستة عشر مخرجا بدءا بالحلق وانتهاءا بالشفتين، فيقول: " واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلق....ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو".[1]

لمعرفة ما قام به جني من ترتيب الحروف حسب مخارجها لا بد من مقارنتها بترتيب سيبويه والخليل، حتى نعرف الخلاف بينهما.

- **ترتيب الخليل وسيبويه:**

- الخليل: "ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ذ، ت، ظ، ذ، ق، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي همزة".[2]

- سيبويه:"ء، ا، ه، ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج، ش، ي، ل، ر، ن، ظ، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و".[3]

- ترتيب ابن الجني: "ء، ا، ه، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ي، ض، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و".[4]

" فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح، فأمر ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة... مما رتبه سيبويه و أصحابه وهو الصواب الذي يشهد له التأمل بصحته".[5] ومعنى هذا القول أن ابن جني يخالف الخليل في عدة مواضيع، كما يخالف سيبويه في

---

[1] المصدر نفسه ، ص46-48.

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج1، تحقيق مهدي المخزومي ابراهيم سمرائي، دار الرشيد بغداد 1981، ص53-54.

[3] سيبويه، أبو بشر عثمان ابن قمبر، الكتاب تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص431.

[4] أبي الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن المنداوي، ط1، دار القلم، دمشق، 1985، ج1، ص45-46.

بعض المواضيع وإن سرح أن ترتيبه هو الصواب، فالخليل جعل العين أولا وتليها الحاء والهاء والخاء والهمزة والألف والهاء تسبقها عند ابن جني، وفصل بين القاف والغين بالخاء، أما الخليل فوضع القاف بعد الغين، وسيبويه يرتب ابتداءا من (ك، ق، ض، ج، ش، ي) وابن جني (ق، ج، ش، ي، ض)، ويستعمل مصطلح "المذاق" وتصعدها حين يتحدث عن ترتيب مخارج الحروف فيقصد بها ظروف النطق.

ويمكن أن نختصر ما جاء به ابن جني في الجدول التالي:[1]

العدد	المخرج		
1	أسفل لحلق وأقصاها	ء، ا، ه	الهمزة- الألف والهاء
2	وسط الحلق	ع، ح	العين والحاء
3	أدنى الحلق من أول الفم	غ، خ	الغين والخاء
4	أقصى اللسان	ق	القاف
5	من أسفل من ذلك وأقرب الى مقدم الفم	ك	الكاف
6	وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى	ج، ش، ي	الجيم والشين والياء
7	أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس	ض	الضاد
8	حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان فويق الضحك	ل	اللام
9	طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا	ن	النون
10	من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام	ر	الراء
11	بين طرف اللسان وأصول الثنايا	ط، د، ت	الطاء والدال والتاء

[1] ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص46-47-48.

12	بين الثنايا وطرف اللسان	ص، ز، س	الصاد والزاي والسين
13	بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	ظ، ذ، ث	الظاء والذال والثاء
14	باطن الشفى السفلى وأطراف الثنايا العليا	ف	الفاء
15	مما بين الشفتين	و، ب، م	الواو والباء والميم
16	الخياشيم	ن	النون

يتبين من خلال هذا التقسيم أن ابن جني لم يختلف كثيرا مع المحدثين في الترتيب المخرجي للأصوات، ووصفها (المخارج) بهذه الصورة يدل على قوة والذكاء النادر.

- **صفات الحروف:**

بين ابن جني صفات الحروف، وهو في ذلك منابع لسبويه، فذكر أن الحروف حروفا مهموسة وتقابلها حروف مجهورة ومنها الشديدة وتقابلها الرخوة، وبينهما حروف توصف بأنها بين الشد والرخاوة، ومنها المطبقة وتقابلها المتفتحة ومنها الحروف المستعلية ويقابلها المنخفضة ومنها حروف الذلاقة وتقابلها الحروف المصمتة ومنها الحروف المشربة أو حروف القلقلة، ومنها الحرف المنحرف والحرف المكرر والحرف المهتوت وهي كالآتي:[1]

1/ المهموس والمجهور:

الحروف المهموسة: وهي عشرة: الهاء- الحاء- الخاء- الكاف- والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء وقد جمعها في لفظة **"ستشحثك خصفه"** والحروف الباقية مجهورة.[2]

[1] ينظر: الدكتور حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص314.

[2] ينظر:المرجع نفسه ، ص314.

2/ الشديد والرخو: ذكر ابن جني أن من الحروف ما هو شديد ومنها ما هو رخو ومنها ما هو بين الشدة والرخاوة، وقد ذكر أن الحروف الشديدة هي: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء، ويجمعها لفظ **"أجدت طبقك"**.[1]

والحروف الرخوة ما سوى هذين أي أن الحروف الرخوة هي : الهاء والماء والغين والخاء والشين والصاد والزاي والسين والضاد والطاء والذال والثاء والفاء.[2]

والحروف التي بين الشدة والرخاوة هي: الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو، ويجمعها لفظ: **"لم يروعنا"**.[3]

3/ الاطباق والانفتاح:

ذكر ابن جني أن لحروف المطبقة أربعة هي: الضا والطاء والصاد والظاء وقال: والاطباق: أن ترفع ظهر لسانك الى الحنك الأعلى مطبقا له[4] ووصف ما سوى ذلك من الحروف بأنه مفتوح.

4/ الاستعلاء والانخفاض:

ذكر ابن جني أن المستعيلة سبعة أحرف، أربعة منها حروف الاطباق، والثلاثة الباقية في الخاء والعين والقاف، وأما غير هذه فمنخفض، وفسر الاستعلاء بقوله " ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى".[5]

5/ حروف القلقلة:

---

[1] ينظر:المرجع نفسه ، ص315.

[2] ينظر:المرجع نفسه ، ص315.

[3] ينظر:المرجع نفسه ، ص315.

[4] ينظر:المرجع نفسه ص318

[5] ينظر:المرجع نفسه ص318

وصف ابن جني القاف والجيم والطاء والدال والباء بأنها حروف (مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقة...لأنك لا تستطيع أن تقف عليها الا بصوت)[1] ومثل لها بأربعة أفعال بصيغة الطلب هي، **الحق واذهب واخلط واخرج.**

6/ حروف الذلاقة:

ستة أحرف أطلق عليها لفظ حروف الذلاقة وهي: اللام والراء والنون، والفاء والباء والميم، وقد ذكر ابن جني أنها سميت بذلك (لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدرة وطرفه)[2] وواضح أن ثلاثة منها يعتمد عليها حقا بطرف اللسان أما الثلاثة الباقية فهي حروف شفوية لا شأن لطرف اللسان على الاطلاق في اخراجها.[3]

- **صفات مفردة:**

ذكر ابن جني من صفات الحروف ما لا يكون الا في حرف واحد وذلك:

1/ المنحرف:

وهو اللام، وذلك لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت.

2/ المكرر:

وهو الراء، وعلل هذا الوصف بأن طرف اللسان عند الوقف على الراء يتعثر.

3/ المهتوت:

وهو الهاء، وقال عنه سمي بذلك (لما فيه من الصعفره الخفاء).

---

[1] ينظر:المرجع نفسه ص323

[2] ينظر: المرجع نفسه ص324

[3] ينظر:المرجع نفسه ، ص324

4/ الهاوي:

وهو الألف، وقد ذكر أنه أحد حروف المد والاستطالة وهي : الألف والواو والياء.

_الظواهر الفونولوجية عند ابن جني:

1/ الاعلال عند ابن جني:

الإعلال من الظواهر اللغوية القديمة في اللغة العربية، وهو من مظاهر اللغة التي تعتني بها الدراسة الصوتية.

وقد تناول ابن جني الظاهرة وله فيها تعليلات صوتية سنكتفي بذكر منها: لنبين أن الإعلال من التغيرات الصوتية التي تفطن إليها ابن جني، وقدم عليها تعليلات صوتية تبين مدى وعيه بدور ووظيفة الأصوات اللغوية وكيفية تألفها مع بعضها البعض في المنطوق الواحد.

إذن علمنا في هذا الجزء من البحث ليس دراسة كل ما قاله ابن جني عن الإعلال بل عملنا هو البحث عن ما يدل على إدراك ابن جني أن الإعلال الى جانب كونه تغير في المبيعة الصرفية هو من التغيرات الصوتية أيضا.

ومما قاله ابن جني في الإعلال ما يلي:

- **الإعلال بالقلب:**

في قلب الواو أو الياء همزة.

يقول في ذلك:" وقالوا أيضا: قضاء وسقاء وشفاء وكساء وشقاء وعلاء وكذلك كل ما وقعت لامه ياء أو واو طرفا بعد ألف زائدة. وأصل هذا كله قضائي وسقائي وشقاي وكساو وشقاو وعلاو،

لأنها من قضيت وسقيت وشفيت وكسوت والشقوة وعلوت فلما وقعت الياء والواو طرفين، بعد ألف زائدة، ضعفتا لتطرفهما ووقوعهما بعد الألف الزائدة.[1]

ويرى ابن جني أن الواو أو الياء، ل تقلب همزة ابتداء وإنما قلبت أولا القائم همزة وذلك أن وقوعها في الطرف يضعفها، ولم يذكر لم كان وقوعها طرفا يسبب ضعفها ولعله يريد بالضعف في الطرف أن الطرف مضنة الإعراب الذي يقر معه الحرف على حال فقد يسكن وقد يتحرك، وقد تكون الحركة ضمته أو فتحة أو كسرة فكأن تعرض الطرف لتغيرات جعله يصف الحرف المعتل المتطرف بالمعنى.[2]

في قلب وياء واوا:

يقول في ذلك: " قلب الياء في موسر، وموقن، لسكونها وانضمام ما قبلها ولا توقف في ثقل الياء الساكنة بعد الضمة، لأن حالها في ذلك حل الواو الساكنة بعد الكسرة وهذا أمر يدعوا لحس إليه، ويحدو طلب الاستخفاف عليه"[3]، ونلاحظ هنا أن بن جني قد علل القلب في مثل هذا الموضع بالميل إلى الانسجام الصوتي والبعد عن التناقض والثقل، لأنك عندما تأتي بالضمة يكون المتوقع بعدها واوا، وعندما تأتي بالكسرة يكون المتوقع بعدها ياءا.

- **في قلب الواو الياء:**

من ذلك قولهم سوط سياط، وثوب ثياب، وروضة رياض ويقول ابن جني في ذلك: "اعلم أن القلب إنما وجب في سياط ونحوه لأشياء تجمعت لا لشيء واحد. منها : ستكون الواو في الواحد، والحرف الساكن ضعيف يقبل العلة، ومنها انكسار السين في سياط، ومنها وقوع الألف بعد الواو،

---

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، مج1، ص106-107.

[2] حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد، العراق، دط، 1980م، ص3730

[3] ابن جني، الخصائص، ج1، ص58.

والألف قريبة الشبه من الياء، ومنها أن الكلمة جمع، والجمع أثقل من الواحد. فلما تجمعت هذه الأشياء المستثقلة كلها هربوا من الواو الى الياء".[1]

إذن لولا اجتماع هذه الأشياء المستثقلة لما كان القلب، ودليل ابن جني على ذلك في جمع طويل طوال، حيث أقرت الواو في الجمع لتحركها في المفرد.

وواضع أن المجانسة بين الياء والكسرة مع شعور العرب بأن صوت الياء أخف عليهم من صوت الواو وهو الذي جعلهم يبدلون هذا ونحوه.[2]

- **في قلب الهمزة ياء:**

ومن ذلك يقول: " وقد أبدلوا الهمزة ياء لغير علة إلا طلبا للتخفيف وذلك قولهم في قرأت، وفي بدأت بديت، وفي توضأن توضيت".[3]

نلاحظ هنا أن ابن جني يرى أن سبب الإعلال لا يعد وكونه بحثا عن التخفيف. وهو تعليل صوتي سطحي لا يغوص الى البنية العميقة للكلمة. أي لأصواتها وتأثير هذه الأصوات في بعضها البعض.

- **الإعلال بالتسكين:**

ومن ذلك الإعلال في مثل يقول وبيع وأصلهما يقول ويبيع وقد نص ابن جني على أنهم نقلوا الضمة والكسرة من الواو والياء الى ما قبلها واسكنوهما، وعلة النقل عنده حمل المضارع على الماضي في الإعلال ويقول في ذلك:" **فلما جاء المضارع أعلوه اتباعا للماضي لئلا يكون أحدهما**

---

[1] ابن جني المنصف، ص283.

[2] حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص370.

[3] ابن جني المنصف، ص223.

صحيحا والآخر معتلا، فنقلوا الضمة من الواو والكسرة من الياء الى ما قبلها فصارا يقول ويبيع".[1]

وعلة الإعلال هنا عند ابن جني لا تخرج عن حمل المضارع، حتى أننا نراه يفند رأي من يقول أن علة الإعلال هنا في ثقل الحركة على الواو. أو الياء فيقول نفي ذلك: " **فأما من ذهب الى أن يقول ويبيع ونحوهما إنما استثقلت الحركة فيهما في الواو والياء فنقلت الى ما قبلهما فسكنتا، فغير معبوء بقوله لأن الواو والياء إذا سكن ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح، فلم تستثقل فيها الحركة".**[2]

- **الإعلال بالحذف:**

ذكر ابن جني عدة مواطن كان الإعلال فيها بالحذف من ذلك:

"قولهم ميْت وهيْن ولَيْن والأصل ميِت وهيِن ولِين، وقد ذهب ابن جني الى أن ميت على وزن فيعل مكسور العين، كأنه كان ميوت ثم قلبت الواو ياء لسكون الياء قبلها فأعلوا العين بعدها، ثم إنهم لما أعلوا العين بالقلب أعلوها أيضا بالحذف لضرب من الإستخفاف".[3]

وقد علل ابن جني الحذف هنا بطلب الإستخفاف ودفع الثقل، كون العربي يسعى دوما الى النطق بالأخف على لسانه والإبتعاد عن كل ما يثقل عليه، ويزيد من كلفته في النطق.

2/ الإبدال عند ابن جني:

الإبدال من الظواهر اللغوية التي اعتنت بها الدراسة الصوتية أيضا، لتعليلها والبحث في أسبابها.

---

[1] ابن جني المنصف، ص223.

[2] المصدر نفسه، ص223.

[3] م.ن، ص299.

وقد تناول ابن جني ظاهرة الابدال في مواضع عديدة من كتبه، ويعد كتابه سر صناعة الإعراب من المؤلفات الضخمة التي حوت بين دفتيها دراسات مستفيضة حول ظاهرة الإبدال، حيث أن ابن جني كان يقف عند كل حرف ويبحث عن أحواله في كلام العرب، ومن بين الأحوال التي كان يبحث عنها كون الحرف بدلا أو مثلا وإذا كان بدلا فمما يبدل.

وبذلك يمكن القول أن ابن جني قد استوفى معظم حالات الإبدال الشائع يقول ابن جنية في اللغة العربية، ولا تستطيع أن تقول كلها لأن اللغة العربية أوسع من أن يضمها كتاب بين دفتيه لكثرة لهجاتها وتشعبها.

وسنكتفي هنا بذكر بعض حالات الإبدال الكثيرة التي ذكرها ابن جني وكيف علل لها.

- **إبدال تاء افتعل:**

يقول ابن جني:" إن تاء افتعل إذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء تقلب طاء البتة ولا بد من ذلك، وذلك قولك: من الصبر اصطبر، ومن الضرب اضطرب ومن الظهر اضطهر بحاجتي".[1]

ويعلل ابن جني سبب ابدال تاء افتعل طاء إذا كانت فاؤه ضادا أو ظاء هو أن هذه الأحرف مطبقة والتاء مخفتة، فقلبوها طاء لتكون أقرب من لفظ الصاد والضاد والظاء، واختاروا الطاء لأنها أخت التاء في المخرج وأخت الصاد والضاد والطاء في الإطباق والاستعلاء.

يقول ابن جني في ذلك: " **وأصل هذا كله اصتبر واضترب واطترد واظتهر، ولكنهم لما ترأ والتاء بعد هذه الأحرف، والتاء المهموسة، وهذه الأحرف مطبقته، والتاء مخفتة فربوها من لفظ الصاد والضاد والطاء، بأن قلبوها الى أقرب الحروف منهن، وهو الطاء لأن الطاء أخت**

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، مج1، ص229.

التاء في المخرج، وأخت هؤلاء الأحرف في الطباق والإستعلاء، وقلوبها مع الطاء طاء أيضا، لتوافقها في الجهر والاستعلاء، وليكون الصوت متفقا".[1]

ويعلل ابن جني ابدال تاء افتعل دالا إذا كانت فاؤه زايا أو ذالا بقوله: " ازدجر أصلها ازتجر والزاي مجهورة والتاء مهموسة، فقلبوا التاء دالا لتوافق الزاي في الجهر".[2]

ويضيف:" إذكر أصله إذ تكر، والدال مجهورة والتاء مهموسة فأبدلوا التاء ذالا لتوافق الذال في الجهر".[3]

نلاحظ هنا أن ابن جني قد اعتمد في تفسيره إبدال فاء افتعل على صفات الأصوات التي تجاور الفاء، وتأثير هذه الأصوات على الفاء، هذا التأثير الذي يدعوا الى التماثل الجزئي أو الكلي، ويرى ابن جني أن الإبدال يكون لتقريب صوت من صوت آخر فيقول " ونحو من هذا التقريب في الصوت قولهم في سبقت: صبقت وفي سقت صقت وفي سملق صملق: وفي سويق صويق، وذلك أن القاف حرف مستعل والسين حرف غير مستعل، إلا أنها أخت الصاد المستعلية فقربوا السين من القاف بأن قلبوها الى أقرب الحروف الى القاف من مخرج السين وهو الصاد".[4]

ومن الإبدال أيضا إبدال الميم من الواو يقول فيه:" أما إبدالها من الواو فقولهم فم وأصله فوه بوزن سوط فحذفت الهاء للتخفيف فلما بقي الإسم على حرفين الثاني منها حرف لين كرهوا حذفه

---

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] ابن جني، المصنف، ص545.

[3] المصدر نفسه، ص546.

[4] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص198.

للتنوين، فأبدلوا من الواو ميما لقرب الميم من الواو لأنهما شفهيتان"[1] والتعليل هنا صوتي واضح لاعتماده على صفة ومخرج الصوتين الميم والواو.

3/ الإدغام عند ابن جني:

تعد ظاهرة الإدغام في اللغة العربية ظاهرة صوتية بحتة، لأنها تحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، فيؤثر صوت في آخر فيمنحه صفاته كلها أو بعضها وبهذا يكون الإدغام.

وقد تفطن العلماء القدامى وعلماء القراءات القرآنية الى هذه الظاهرة الصوتية، فاهتموا بها ورصدوا أوجها في اللهجات والقراءات المختلفة، ووضعوا لها الكثير من الضوابط والقواعد كما اهتموا بتفسيرها وتعليل أسباب حدوثها، ووضعوا حدودا لها، وشروطا خاصة بها وحددوا متى يكون الإدغام واجبا، ومتى يكون جائزا، ومتى يكون ممتنعا.

وإذا عدنا الى المصنفات الأدبية واللغوية القديمة لوجدنا أن الخليل ابن أحمد هو أول من تعرض لظاهرة الإدغام في معجمه العين، أو في أقواله التي نسبها اليه تلاميذه وخاصة سيبويه، كما يعد سيبويه أول من بحث في ظاهرة الإدغام من جميع وجوهها بنقص وتحليل وتعليل كبير، وذلك لأن البحث اللغوي عند سيبويه كان وسيلة من وسائل التحليل الصرفي في المقام الأول.[2]

ويعد ابن جني من بين العلماء الذين تفطنوا لهذه الظاهرة، ويبدوا أنه كان أكثرهم إدراكا لطبيعة هذه الظاهرة اللغوية كظاهرة صوتية، فهو يرى أن الادغام تقريب صوتي.[3]

---

[1] المصدر نفسه، ج2، ص89-90.

[2] عبد الله بوخلخال، الادغام عند علماء العربية، ص34-35.

[3] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص299.

وقد ذكر ابن جني الإدغام في مواطن عديدة من كتبه، من ذلك ما جاء في كتابه الخصائص، إذ قام بتحديد مفهوم الإدغام بقوله:" هو تقريب صوت من صوت" فالإدغام عند ظاهرة تحدث بين الأصوات وتعني التقريب الصوتي.

ثم حدد أضربه وجعلها ضربين هما:

ساكن ومتحرك، فالمدغم الساكن الأصل كطاء قطع وكاف سكر الأولين، والمتحرك نحو دال سد ولا معتل شد أصلها شدد، ومعتل أصلها معتلل

إدغام المتقاربين: ويقول فيه:"أن يلتقي المتقاربان على أحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما الى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، وذلك مثل ود في اللغة التميمة وامحى واماز أصلها امتاز واصبروا ثاقل عنه" ود أصلها وتد، وامحى أصلها امتحى، واماز أصلها امتاز، واصبر أصلها اصتبر وثاقل أصلها اثتاقل.

ثم ذكر ابن جني طريقة الادغام أو كيفية فقل:" ألا ترى أنك في قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى ما اللسان عنها بنوة واحدة، وزالت الوقفة التي تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر".

ثم حدد الهدف من الإدغام بكونه وسيلة للتخفيف والابتعاد عن الثقل فيقول: "ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتحشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة مما زحتها الثانية بما كقولك قططع وسككر" يضيف "فإن أنت أنزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول وخلطته بالثاني فكان قربه منه وادغامه فيه أشد لجذبه اليه وإلحاقه بحكمه".

ثم تحدث عن الأصل في الإدغام، وهو أن يكون الأول من المثلين متحركا فيسكن ليدغم في الثاني، ويقول في هذا:" فإن كان الأول من المثلين متحركا ثم أسكنته وأدغمته في الثاني، فهو أظهر

امرا، وأوضح حكما ألا ترى أنك أنما أسكنته لتخلطه بالثاني، وتجذبه الى مضامنه ومماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزا بينه وبينه وأما إن كانا مختلفين ثم قلبت وأدغمت، فلا إشكال في إيثار تقريب أحدهما من صاحبه لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير".

ثم يشير ابن جني الى أن هذا حديث الادغام الأكبر وقد سماه الادغام الأكبر ليفرق بينه وبين الادغام الأصغر والذي يعني المماثلة.

بالاضافة الى حديثه عن الادغام تحدث ابن جني في مواطن أخرى عن فك الادغام وعن امتناعه في بعض المبيع.

ومن الادغام ما جاء في كتابه سر صناعة الإعراب في باب الطاء عند حديثه عن البدل في تاء افتعل، يقول:" ومنهم من إذا كانت الفاء ظاء أبدل التاء طاء، ثم أبدلل الطاء طاء وأدغم الطاء في الطاء، فيقول: اطهر بحاجتي، وطلعته فظلم وذلك لما بين الطاء والطاء من المقاربة في الإطباق والاستعلاء.[1]

ويضيف ما يمتنع فيه الإدغام فيقول:" ومن أجاز هذا القول فقال اظلم ظلم لم يجزه مع الصاد ولا مع الضاد، لا تقول في اصطبر: إطبر ولا في اضطرب" إطرب وذلك لأن في الصاد أولا وصغيرا، فلا تدغم في ولا أختاها السين والزاي في الطاء، ولا في أختها الدال والتاء ولا في الطاء ولا في أختيها الذال والتاء.[2]

من عرضنا لظاهرة الادغام عند ابن جني يتضح لنا أنه قد توصل الى أن الادغام نوع من التغيرات الصوتية التي تحدث في الكلمة العربية، والتي تهدف الى دفع الثقل الذي يكون عند التقاء

---

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص229.

[2] المصدر نفسه، مج1، ص230.

المتماثلين أو المتقاربين هذا الالتقاء الذي يستوجب أو يستحسن الادغام طلبا للخفة، والانسجام الصوتي.

- **الصوتيات التركيبية وعلاقتها بالدلالة الصوتية عند ابن جني:**
  - **بين الصوت والحرف:**

لقد نظر ابن جني الى الحرف على أنه:" **حد منقطع الصوت وغايته وطرفه**".[1]

واستعمل مصطلح المقطع أيضا كدلالة على الحرف فقال:" **فيسمى المقطع عرض له حرفا**".[2]

إلا أن تسمية المقطع حرفا ليست الا ضربا مجازيا لأنه من العروف عند ابن جني هنا هو مخرج الصوت لا الحرف.

وقد عرف ابن جني الصوت أيضا فقال:" اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا".[3]

نلاحظ مما سبق أن ابن جني عرف المصطلحين –الصوت والحرف– وفرق بينهما الا أنه أحيانا يقرن المصطلحين معا كقوله:" علم الأصوات والحروف".

وقد استخدم ابن جني المصطلحين في معنى واحد، فنجد في حديثه عن الادغام مثلا يقول: تقريب الصوت من الصوت ثم يعود ويقول تقريب الحرف من الحرف ويضيف ابن جني:" واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرون قد تلحقها ستة أحرف تنفرع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفا،

---

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص19.

[3] المصدر نفسه، ص19.

وهذه الستة الحسنة: النون الخفيفة، الهمزة المخففة وألف التفخيم، وألف الامالة والشين التي الجيم، والصاد التي كالزاي، وثمانية أحرف غير مستحسنة وه: الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم"[1]، ومعنى هذا القول أن هذه الحروف التي سماها ابن جني حروف حسنة وحروف غير مستحسنة ما هي الا تنوعات صوتية لحروف معينة من الحروف التسعة والعشرين.

فالنون الخفيفة تنوع من التنوعات لحرف النون، وألف التفخيم وألف الإمالة تنوعات من تنوعات حرف الألف....

وابن جني يرى أن هذه الحروف الأربعة عشر التي أضافها لا تصح الا في أمر السمع والمشافهة، أي أنها أصوات و ليست حروف تعنى في الكتابة.

هذا من جانب الحديث عن الصوت، أما من جانب الحرف فنجد أن ابن جني قد تفطن الى أن تغيير الحروف يؤدي الى تغيير المعاني، وهو نوع من أنواع الدلالة الصوتية، وبهذا أدرك ابن جني استقلالية الحرف وأن معناه يكمن في ثباته وتغيره في موضعه.

وقد درس ابن جني موضوع استبدال الحرف مكان حرف آخر، فأشار في هذا الباب الى أنواع مختلفة من الدلالة الصوتية، من ذلك أنه تحدث عن حكاية الأصوات الطبيعية كـ" صر لصوت الجندب، لما فيه من استطالة، وصرصر لصوت البازي لما فيه من تقطيع".[2]

[1] المصدر نفسه، ص59.

[2] ابن جني، الخصائص، ج2، ص100.

وقد أشار الى الدلالة المستمدة من الصيغ الصرفية: مثل التي على وزن الفعلان وقال أنها تأتي للاضطراب والحركة نحو: النقران والغليان والغثيان....والمصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة...وغيرها من الصيغ.[1]

أما عن حديثه عن الدلالة الصوتية المستمدة من استبدال الحرف مكان حرف آخرمع تغيير المعنى قال:" أما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من أحداث فباب عظيم واسع ونهج متلتب عند عارفيه مأموم: وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمة الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها..."[2] ثم يضيف شارحا وممثلا:" من ذلك قولهم: خضم وقضم فالخضم للأكل الرطب كالبطيخ والقثاء: وما كان نحوها من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك" ومن أمثلة ذلك أيضا قولهم نضخ الماء أي للضعيف أما للقوي فيقال نضخ ومثال ذلك قوله تعالى:"فيهما عينان نضاختان"[الرحمن الآية 66].

ومنه فإن ابن جني قد أدرك أن الحروف تلعب دورا هاما في الدلالة وأن احلال أحدها مكان الآخر يولد دلالة جديدة، وتناول الأصول المتقربة بشيء من التحليل ليكشف عن وشائج الصلة بينهما معتمد في ذلك على حسه اللغوي وخبرته بالحرف العربي صوتا ومخرجا وصفة فيقول مثلا في تفسير تقارب أز وهز وفي ذلك قوله تعالى:" ألم ترى أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم أزا" أي تزعجهم وتقلقهم، وهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء " لما فيها من جهر تفتقر اليه الهاء، وهذا معنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قدتهم من لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك".[3]

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص101-104.

[2] المصدر السابق، ج2، ص104.

[3] المصدر السابق، ج2، ص165.

ومعنى هذا القول أن ابن جني يذهب الى أن مجرد اشتراك بعض الحروف يكفي أحيانا للاشتراك في الدلالة، فالهز والأز متقاربان في المعنى وهما كذلك متقاربان في اللفظ.

وعلى هذا الأساس سار في تبيان التقارب بين (قروم وقلم)، جلف وجنف)، (عسف وأسف)، (علم وعرم)، (حمس وحبس)، (جبل وجبن وجبر)، (علب وعلم)، (غرب وغرف)، (قرد وقرت).

وخلاصة القول أن ابن جني استطاع أن يؤكد أن للصوت سواء كان حرف أو حركة قيمة دلالية وأن ثمة علاقة بينهما تشكل المعنى وهذا ما تؤكده الدراسات اللغوية الحديثة حيث أنها تلربط بين الدال والمدلول في علاقة طبيعية، وهذا ما يؤكد ابن جني قد عرف دور الأصوات المركبة في الدلالة الصوتية الذي تعالجه اللغويات الحديثة.

خاتمة

تمخضت هذه الدراسة العلمية لتأصيل الدرس الصوتي في التراث العربي سر صناعة الإعراب لابن جني على مجموعة من النتائج حصرناها في نقاط توجنا بها هذا البحث، وجعلناها خاتمة له.

ومن أهم هذه النتائج نذكر:

1- ارتبطت الدراسات الصوتية عند العرب بالقرآن الكريم من خلال معالجة ظاهرة اللحن الخفي، ثم أخذت اتجاهات أخرى (لغوية، نحوية، بلاغية، فلسفية).

2- يعد علماء المعاجم وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي أقدم من تحدث عن الصوتيات عند العرب فدرسوا الصوت في حالة الافراد مما ساعدهم في اتباع المنهج الصوتي في المعاجم العربية.

3- اهتم النحاة وعلى رأسهم سيبويه بالدرس الصوتي بوصفه مدخلا لفهم اللغة العربية، فدرسوا مخارج الأصوات وحدد وصفاتها.

4- يعتبر علماء التجويد والبلاغة أكثر من عني بالصوتيات العربية لتعلقها بدراسة القرآن الكريم وقد وجد الدرس الصوتي مبثوثا في ثنايا دراساتهم القرآنية كالترتيل والتجويد.

5- كان للفلاسفة المسلمين دور مهم في إرساء معالم الدرس الصوتي فاختلفت دراستهم الصوتية عن دارسيها السابقين من علماء العرب، فتميزت دراستهم بالدقة والتفصيل ومن أهم الفلاسفة الذين أولوا دراسة الصوت أهمية بالغة نذكر ابن سينا الفرابي.

6- عرف علماء العرب على اختلاف توجهاتهم اللغوية الدرس الصوتي وتناولوا دراسة الأصوات في ثنايا مؤلفاتهم فكتبوا في الأصوات ومخارجها وحددوا صفاتها.

7- على الرغم من أن علماء العرب لم يعفوا الدرس الصوتي كعلم مستقل إلا أنهم تناولوا دراسة الظواهر الصوتية كالإدغام والإبدال والإعلال.

8- التغيرات الصوتية من المباحث المهمة التي تهتم بها الصوتيات التركيبية ومن التغيرات الصوتية التي تحدث في الصيغ الصرفية، الإعلال، الإدغام الإبدال، وقد حظيت هذه التغيرات بدراسة مستفيضة منذ بداية الدراسات اللغوية.

وأخيرا نشير الى أن ابن جني واحد من العلماء القدماء الذين كانت لهم دراسات قيمة على اللغة بكل مستوياتها، فقد كان هو أول من تعامل مع الصوتيات كعلم مستقل عن العلوم اللغوية الأخرى وقد فصل في الكثير من قضايا علم الأصوات العام، بالاضافة لى أنه لم يغفل الجانب التركيبي للأصوات، فهو يعتبر بفضل دراسته الصوتية المفردة والتركيبية أهم حلقة في سلسلة تأصيل الدرس الصوتي العربي.

لذلك من خلال هذا البحث المتواضع نلمح الى ضرورة العودة للتراث العربي اللغوي والاهتمام به ومحاولة استنطاقه لمعرفة القضايا التي توصل اليها القدماء، ومازالت لم تجد النور في الدراسات الحديثة أو لمعرفة الحديثة التي لها جذور في الدراسات القديمة

تأمين المصانع والمدارس

1- القرآن الكريم.

2- ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1975.

3- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

4- ابن السكيت، كتاب الإبدال تحقيق حسين محمد شرف.

5- ابن المجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف.

6- ابن جني، سر صناعة الإعراب تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق 1985.

7- ابن جني،الخصائص، ط2، تحقيق محمد علي النجار، دا الهدى، بيروت، 1959.

8- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، صححه محب الدين الخطيبي، مطبعة المؤيد، القاهرة، 1222هـ.

9- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1976.

10- أحمد مختار، عصر دراسة الصوت اللغوي، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1976.

11- الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، دار القومية العربية، 1964.

12- الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق سيد أحمد سقر، دار المعارف، القاهرة، 1981.

13- بريجستراسر، التطور النحوي، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرافعي بالرياض، 1982.

14- حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد.

15- حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة ط1.

16- خليل ابراهيم عطية،في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ بغداد 1983.

17- الداني، التحديد في الاتقان والتجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد.

18- الزجاج، إعراب القرآن، تحقيق ابراهيم الأنباري، الهيئة العامة لشؤون طابع الأميرية.

بسملة

شكر

إهداء

مقدمة.....

مدخل.....6

الفصل الأول: علم الأصوات الفونيتيكي عند علماء العرب القدامى

*__المبحث الأول__:علم الأصوات الفونيتيكي عند علماء المعاجم.....10

*__المبحث الثاني__:علم الأصوات الفونيتيكي عند النُّحاة>.....12

*__المبحث الثالث__:علم الأصوات الفونيتيكي عند علماء التَّجويد.....15

*__المبحث الرابع__:علم الأصوات الفونيتيكي عند علماء البلاغة.....18

*__المبحث الخامس__:علم الأصوات الفونيتيكي عند الفلاسفة.....21

الفصل الثاني:علم الأصوات الفونولوجي لدى القدامى

*__المبحث الأول__:علم الأصوات الفونولوجي عند علماء المعاجم.....28

*__المبحث الثاني__:علم الأصوات الفونولوجي عند النُّحاة.....37

*__المبحث الثالث__:علم الأصوات الفونولوجي عند علماء التَّجويد.....40

*__المبحث الرابع__:علم الأصوات الفونولوجي عند علماء البلاغة.....43

الفصل الثالث :الدرس الصوتي عند ابن جني من خلال كتاب سر صناعة الإعراب

-ابن جني ترجمة حياته (مولده/من أخذ عنه من علماء العرب/أسرته/وفاته).....46

-قراءة في كتاب سر صناعة الإعراب(الهدف من تأليفه/مباحثه).....50

- الجانب الفونيتيكي عند ابن جني.....53

-ترتيب مخارج الحروف.....54

-صفات الحروف.....56

****الظواهر الفونولوجيّة عند ابن جني:***

-الإعلال عند ابن جني.....59

- الإبدال عند ابن جني.....62

- الإدغام عند ابن جني.....65

- الصوتيات التركيبية وعلاقتها بالدلالة الصوتية عند ابن جني.....68

خاتمة.....73

قائمة المصادر و المراجع.....76

الفهرس.....